بيان المحجة في سير الدلجة

دار اللباب

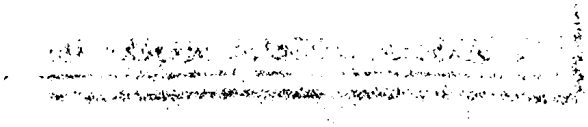

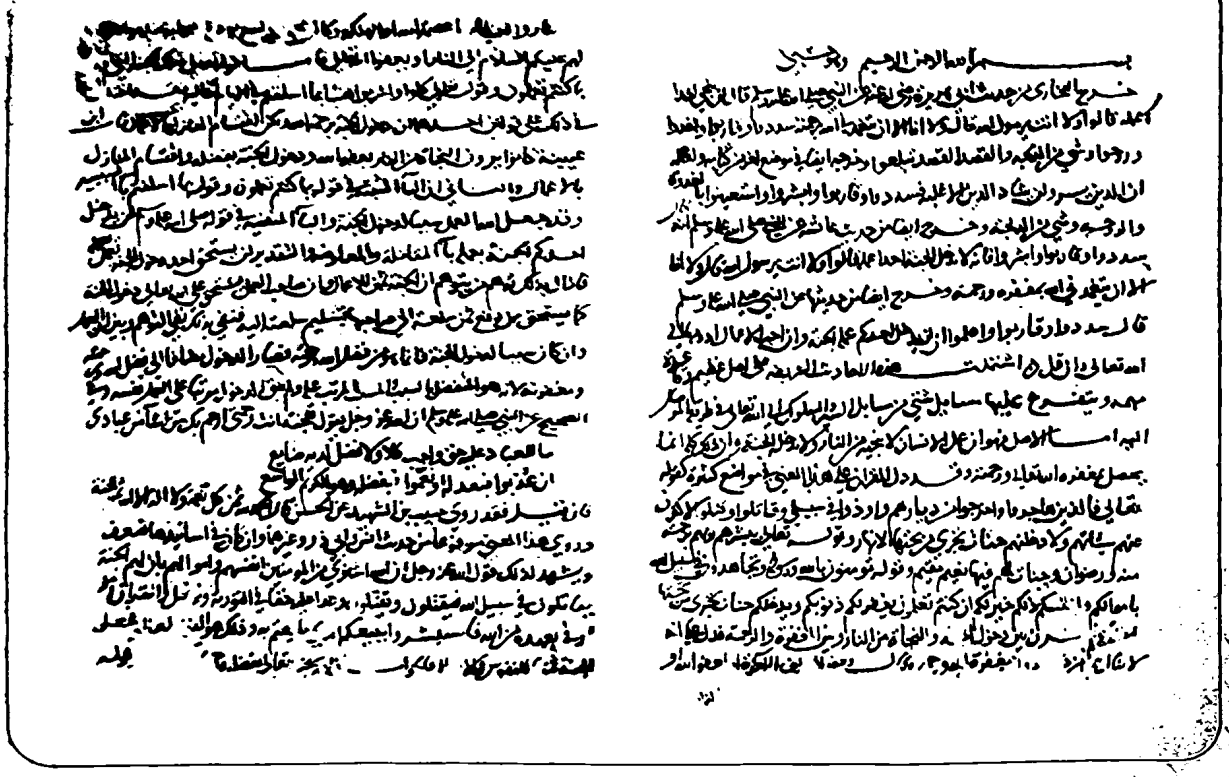

مكتبة المسجد الأقصى (ص)

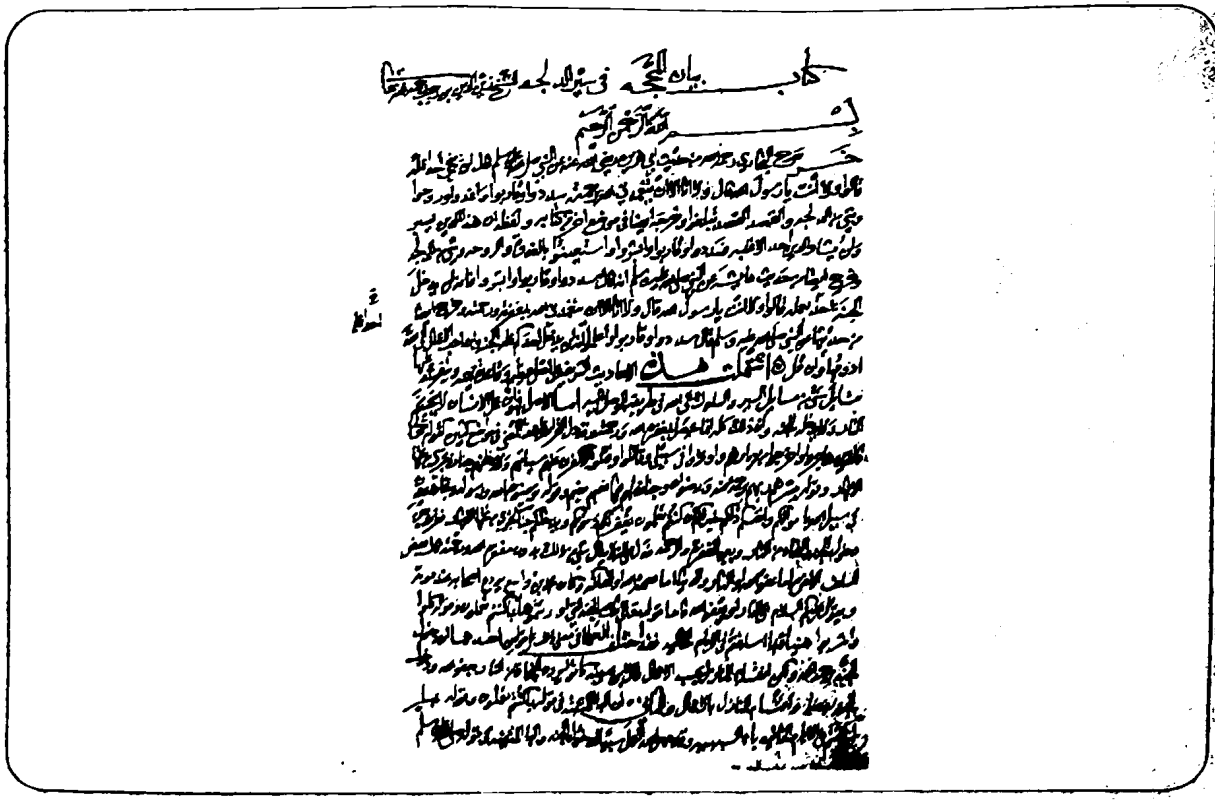

مكتبة الرياض العامة - نسخة إبراهيم بن سليمان بن حجي (ج)

مكتبة الشيخ محمد بن عبد الله آل عبد القادر بالإحساء (ق)

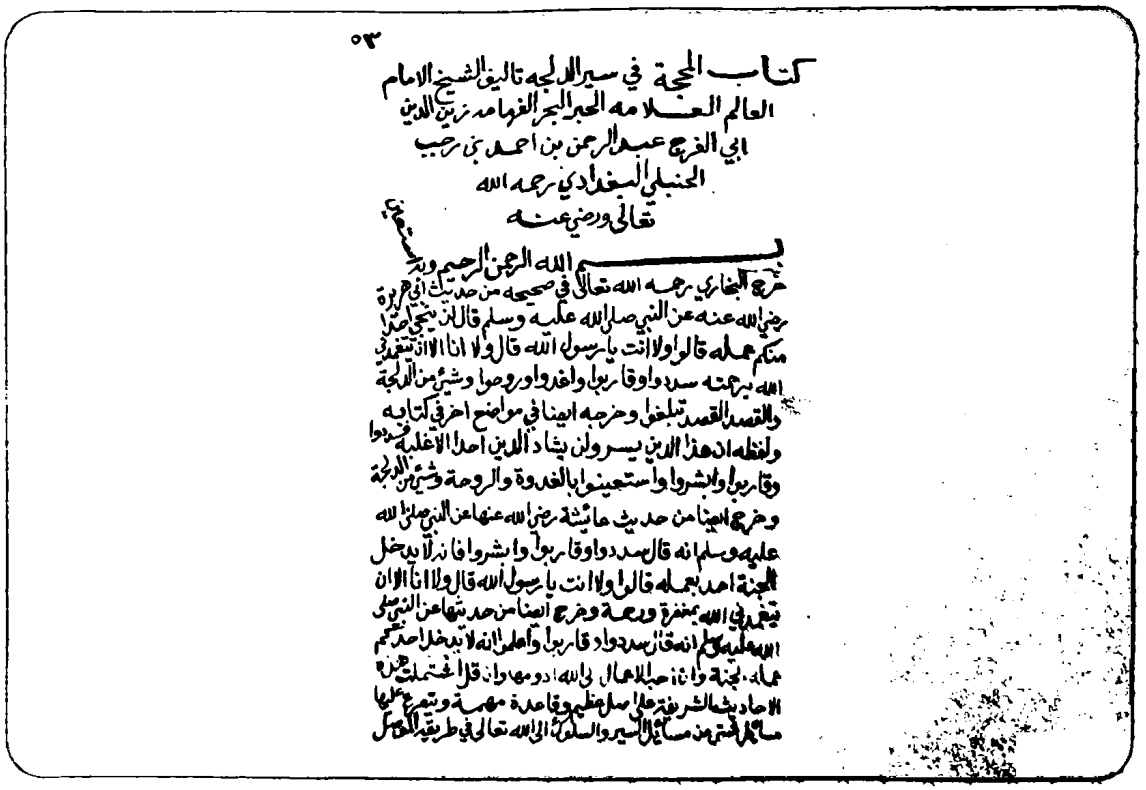

كتاب المحجة في سير الدلجة تاليف الشيخ الامام
العالم العلامه الحبر البحر الفهامه زين الدين
ابي الفرج عبد الرحمن بن احمد بن رجب
الحنبلي البغدادي رحمه الله
تعالى ورضي عنه

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

مكتبة جامعة الرياض ثم جامعة الملك سعود (س)

١

كتاب المحجة في سير الدلجة تأليف الشيخ الإمام
العالم العلامة البحر الفهامة
زين الدين أبي عبد الرحمن المعروف بـ
ابن أحمد ابن رجب
الحنبلي البغدادي
رحمه الله
آمين

وقف سنة ١٣٢٣

بسم الله الرحمن الرحيم

خرج البخاري في صحيحه من حديث ابن هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة. وخرج أيضاً من حديث عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: سددوا وقاربوا وأبشروا فإنه لا يدخل الجنة أحد بعمله. قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته وخرج أبو داود من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: سددوا وقاربوا واعلموا أنه لن يدخل أحدكم عمله الجنة وإن أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل. فهذه الأحاديث الثلاثة الشريفة على أصل عظيم وقاعدة مهمة ومنزع عظيم من مسائل السير والسلوك إلى الله تعالى في طريقه الموصل إليه. أما الأمر الأول فإن الإنسان لا ينجيه عمله من النار ولا يدخله الجنة بوجه. وذلك كله إنما يحصل برحمة الله وفضله وقد دل القرآن العزيز على هذا المعنى في مواضع كثيرة كقوله تعالى: ﴿والذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم﴾ الآية. وقوله: ﴿يبشرهم ربهم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

الحمد لله الذي أوضح سبيل المحجَّة، وأنزل الكتاب فأقام به الحجة، والصلاة والسلام على النور المبين بعدَ ظلام الدلجة، سيدنا محمد رسول الله وعلى آله وصحبه وأتباعه ومن تبعهم على الهدى واجتنب الردى في اللجة.

أما بعد:

فإن السير إلى الله تعالى إنما هو بتوفيق الله سبحانه، والموفقون في سلوك ذاك الطريق قد أسلموا أنفسهم لرِقِّ العبودية لله جل جلاله، حباً وخوفاً ورجاءً، فوجهتهم رضى مولاهم، لا يلتفتون عنها إلى رؤية أعمالهم، فلا هم يراؤون بها الخلقَ في الدنيا، ولا هم يرونها ثمناً للجنة في الآخرة، وإنما يرجون مغفرة الله وعفوه ورحمته، ودخول جنته والنظر إلى وجهه جل جلاله.

فدَلَّهم هاديهم ﷺ على قصد السداد في العمل بالإخلاص والصواب، فيكون ذلك سبباً للرحمة لا ثمناً للجنة.

ودلَّهم هاديهم ﷺ على المقاربة في العمل دون إفراط يفضي إلى الملال المؤدي لترك العمل، وبيَّن لهم سبيل المقاربة فيه بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة، فشبههم بالمسافرين ـ فهم سائرون إلى الجنة ـ فكأنه قال: لا تستوعبوا الأوقات كلها بالسير بل اغتنموا أوقات نشاطكم في الغدوة بالسَّير أولَ النهار، وفي الرَّوحة بالسير آخره، وفي الدلجة بالسير في الليل.

وبهذا يبلغ الإنسان قصده، فإنَّ المُنبَتَّ ـ وهو الذي ينقطع عن أصحابه في السفر ـ لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى، بالَغ في سيره وأتعب دابته وأسرع بها، حتى قعدت به، وجعلت من كانوا وراءَه أمامه، فينقطع عنهم، حتى يسبقوه بمراحل، فلا هو قطع مسافةَ سفره، ولا هو أبقى دابته تحمله على ظهرها.

وكذلك من أفرط في العبادة حتى أضر ذلك ببدنه، مما يُعْجِزُه عن القيام بما افترض عليه فيما بقي من عمره، فالإفراط ألجأه بعد ذلك إلى التفريط.

اللهم إنا نسألك هدياً قاصداً، وعملاً صالحاً متقبلاً، وأن ترضى عنا يا أرحم الراحمين.

***

ذكر هذه الرسالة للمصنف رحمه الله: ابن عبد الهادي في «الجوهر المنضد» (ص: ٥٠)، وسمّاها ـ كما في المطبوع منه ـ: «بيان الحجة في سير الدلجة».

وقد اعتمدت في إخراج هذه الرسالة على خمس نسخ خطية:

١ ـ نسخة المسجد الأقصى ـ فرج الله عنه وعن أهله ـ، ورمزها (ص).

وهي الرسالة السابعة في ضمن المجموع (١٤٦)، وقد تقدم التعريف به في المقدمات.

وقد جاء العنوان في الورقة الأولى من المجموع، وفي الورقة الأولى من الرسالة: «شرح حديث لن ينجِّي أحداً عمله».

وتقع هذه الرسالة في (١٠) لوحات (من ٦٦/ أ إلى ٧٥/ أ)، وقد أكلت الأرضة أسفل أوراقها مما ذهب ببعض الكلمات وبعض الأسطر الأخيرة.

ولا يوجد في هذه النسخة الفصل الذي في آخر الرسالة في قوله تعالى ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾.

لم يذكر اسم ناسخها، ولا تاريخ نسخها، لكنها من خطوط القرن التاسع الهجري.

٢ ـ نسخة إبراهيم بن سليمان بن حجي، ورمزها (ج).

وهي من وقف الشيخ محمد بن عبد اللطيف، في مكتبة الرياض العامة السعودية، وهي الرسالة الثالثة عشرة في ضمن المجموع (٦٨٦/ ٨٦)، وقد تقدم التعريف به في المقدمات، وقد جاء العنوان فيها بخط متأخر: «بيان المحجة في سير الدلجة».

وتقع هذه الرسالة في (٨) لوحات (من ١٣٠/ ب إلى ١٣٧/ ب).

أما الورقتان الأوليان فكتبتا بخط متأخر، مسطرتهما ١٧ ـ ٢٠ سطراً.

وباقي الأوراق بخط أقدم، مسطرتها ٣٠ ـ ٣٢ سطراً.

ناسخها: إبراهيم بن سليمان بن حجي بن محمد بن عبد ـ أو عيد ـ رحمه الله تعالى.

تاريخ نسخها: ٢٧ ربيع الأول ١١٩٤ هـ، وهي مقابلة، وعلى حاشيتها تصحيحات كثيرة، وكتب الناسخ في آخرها: «كتبتها من نسخة غير صحيحة».

وكتب أيضاً:

«وما من كاتب إلا سيفنى ... ويبقى الدهر ما كتبت يداه

رحم الله قائله، رحم الله كاتبه.

ستبقى خطوطي برهة بعد مواتي إلا أنها ستفنى وتبقى أناملي

فيا قاري الخط سل الله رحمة لكاتبه تحت الجنادل»

٣ ـ نسخة مكتبة الشيخ محمد بن عبد الله آل عبد القادر بالإحساء، ورمزها (ق).

وهي برقم (٤٠)، جاء العنوان فيها: «بيان الحجة في سير الدلجة». وهي ناقصة، ولدينا مصورة ١٣ صفحة من أولها، مسطرتها ٢٥ سطراً، ويبدو أنها في ضمن مجموع، فقد ألحقت معها ورقة، يظهر أنها سابقة لأول هذه الرسالة، وفيها خاتمة كتاب آخر بالخط نفسه.

اسم ناسخه: عبد الله بن درويش بن مبارك العدساني.

وتاريخ نسخ تلك الورقة ٤ ربيع الأول ١٢١٨.

٤ ـ نسخة جامعة الرياض، ثم جامعة الملك سعود، ورمزها (س).

وهي الرسالة الثانية من المجموع (١٦٣٧) وقد سبق التعريف به في المقدمات، وجاء العنوان فيها: «المحجة في سير الدلجة»، وتقع الرسالة في (١٣) ورقة (من ص: ٥٣ إلى أول ص: ٧٩) بخط عبد الله بن إبراهيم الربيعي. ولم يذكر تاريخ النسخ، لكن بعد رسائل تليها كُتب قيد الفراغ في ١٧ رجب ١٤٣٣.

٥ ـ نسخة جامعة محمد بن سعود الإسلامية، ورمزها (ع).

وهي برقم (٨٢١)، جاء العنوان فيها: «المحجة في سير الدلجة»، وهي في (١١) لوحة، بخط سليمان بن عبد الرحمن العمري، وتاريخ نسخها ٢٨ شوال ١٣٣٣.

وتكاد (س) و(ع) أن تتطابقا، وفيهما اختلاف كثير عن نسخة المسجد الأقصى (ص)، ونسخة (ج)، وقد أهملتُ التنبيه على الأسقاط والتصحيفات في النسخ الأربع المتأخرة فهي كثيرة جداً، واعتمدت على (ص) في الغالب.

٦ ـ **وثمة نسخة سادسة لم نقابل بها، في جامعة الرياض** وهي في مجموع (٤٤٣٣) وقبلها تفسير سورة النصر، وتفسير سورة الإخلاص، وهي من مخطوطات القرن الثالث عشر، وجاء العنوان فيها: «بيان المحجة في سير الدلجة».

والله ولي التوفيق، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

كتبه

محمد مجير الخطيب الحسني

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

وهو حسبي

خرَّجَ البخاريُّ ـ رحِمَهُ اللهُ تعالى ـ في «صحيحِه» مِنْ حديثِ أبي هريرةَ رضي الله عنه، عنِ النَّبيِّ ﷺ قالَ: «لنْ يُنَجِّيَ أحداً منكمْ عملُه»، قالوا: ولا أنتَ يا رسولَ اللهِ؟ قالَ: «ولا أنا، إلَّا أنْ يتغمَّدَني اللهُ برحمتِه[1]، سدِّدوا وقاربوا، واغدُوا ورُوحُوا، وشيءٌ مِنَ الدُّلْجَةِ، والقَصْدَ القَصْدَ تبلُغُوا»[2].

وخرَّجَه أيضاً في مواضعَ أُخَرَ في «كتابِه»، ولفظُه: «إنَّ هذا الدِّينَ يُسْرٌ، ولنْ يُشادَّ الدِّينَ أحدٌ إلَّا غلَبَه، فسدِّدوا وقارِبوا وأبشروا، واستعينوا بالغَدْوةِ والرَّوْحةِ، وشيءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ»[3].

وخرَّجَ أيضاً مِنْ حديثِ عائشةَ رضي الله عنها، عنِ النَّبيِّ ﷺ أنَّه قالَ: «سدِّدوا وقاربوا وأبشروا، فإنَّه لا يُدخِلُ الجنَّةَ أحداً عملُه»[4]، قالوا: ولا أنتَ

---

(١) في «صحيح البخاري»: «برحمة».

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٦٣).

والمراد بالغدو: السير من أول النهار.

وبالرواح: السير من أول النصف الثاني من النهار.

والدُّلْجَةُ: سيرُ الليل، قال ابن حجر: «وعبَّر بما يدل على السير لأن العابد كالسائر إلى محل إقامته وهو الجنة». انظر: «فتح الباري» لابن حجر (١١/ ٢٩٨).

فيعمل العبد طرفي النهار ويستريح وسطه لئلا يملّ. وأراد بالدلجة: زيادة صلاة الليل.

(٣) أخرجه البخاري (٣٩) و(٥٦٧٣) (٧٢٣٥).

(٤) في (ج): «فإنه لن يدخل الجنة أحد بعمله» وفي (ع) و(س): «لا يدخل الجنة أحد بعمله».

يا رسولَ اللهِ؟ قالَ: «ولا أنا إلَّا أنْ يتغمَّدَني اللهُ بمغفرةٍ ورحمةٍ»(١).

وخرَّجَ أيضاً مِنْ حديثِها، عنِ النَّبيِّ ﷺ أنَّه قالَ: «سدِّدوا وقاربوا، واعلموا أنْ لن(٢) يُدْخِلَ أحدَكمْ عمَلُه الجنَّةَ، وأنَّ أحبَّ الأعمالِ أدومُها إلى اللهِ تعالى وإنْ قلَّ»(٣).

اشتمَلَتْ هذه الأحاديثُ الشَّريفةُ على أصلٍ عظيمٍ وقاعدةٍ مُهمَّةٍ، ويتفرَّعُ عليها مسائلُ شتى من مسائل السَّيْرِ والسُّلوكِ إلى اللهِ تعالى في طريقِه الموصِلِ إليهِ.

أمَّا الأصلُ: فهو أنَّ عملَ الإنسانِ لا يُنَجِّيهِ(٤) مِنَ النَّارِ، ولا يُدخِلُه الجنَّةَ، وأنَّ ذلكَ كلَّه إنَّما يحصُلُ بمغفرةِ اللهِ تعالى ورحمتِه.

وقدْ دلَّ القرآنُ العزيزُ على هذا المعنى في مواضِعَ كثيرةٍ؛ كقولِه تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [آل عمران: ١٩٥]، وقولِه تعالى: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾ الآية [التوبة: ٢١]، وقولِه تعالى: ﴿تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝١١ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [الصف: ١١ ـ ١٢]، فقرَنَ بينَ دخولِ الجنَّةِ والنَّجاةِ مِنَ النَّارِ، وبينَ المغفرةِ والرَّحمةِ، فدلَّ على أنَّه لا يُنالُ شيءٌ مِنْ ذلكَ بدونِ مغفرةِ اللهِ ورحمتِه.

---

(١) أخرجه البخاري في «الرقاق» (٦٤٦٧). وفي (ج) و(ق): «بمغفرته ورحمته».

(٢) في (ع) و(س): «أنه لا». والمثبت موافق للمصدر.

(٣) أخرجه البخاري في الرقاق (٦٤٦٤). والمثبت من (ص)، وفي غيرها: «أحب الأعمال إلى الله أدومها».

(٤) في (ع): «فإن الإنسان لا ينجيه عمله».

قالَ بعضُ السَّلَفِ: الآخرةُ إمَّا عفوُ اللهِ أوِ النَّارُ، والدُّنيا إمَّا عِصْمَةُ اللهِ أوِ الهلَكَةُ[١].

وكانَ محمَّدُ بنُ واسعٍ يودِّعُ أصحابَه عندَ موتِه، ويقولُ لهم: عليكمُ السَّلامُ إلى النَّارِ أوْ يعفو اللهُ تعالى[٢].

فأمَّا قولُه تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الزخرف: ٧٢]، وقولُه تعالى: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة: ٢٤]، فقدِ اختلَفَ العلماءُ في معنى ذلكَ على قولينِ:

أحدُهما: أنَّ دخولَ الجنَّةِ برحمةِ اللهِ، ولكنَّ انقِسامَ المنازلِ بحسَبِ الأعمالِ.

قالَ ابنُ عُيَيْنَةَ: كانوا يرَونَ النَّجاةَ مِنَ النَّارِ بعفوِ اللهِ، ودخولَ الجنَّةِ بفضلِه، واقتسامَ المنازلِ بالأعمالِ[٣].

والثَّاني: أنَّ الباءَ المُثْبَتَةَ في قولِه تعالى: ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الزخرف: ٧٢]، وقولِه: ﴿بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة: ٢٤] باءُ السَّبَبِيَّةِ، وقدْ جعَلَ اللهُ العمَلَ سبباً لدخولِ الجنَّةِ، والباءَ المنفية في قولِه ﷺ: «لنْ يدخُلَ أحدُكم الجنَّةَ بعمَلِه»[٤] باءُ

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «التوبة» (٧٤)، ومن طريقه البيهقي في «شعب الإيمان» (٦٩٣٣) من كلام محمد بن يوسف الأصبهاني. وأخرجه من وجه آخر عنه: أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ٢٣١).

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «المحتضرين» (١٧٩) (١٨٠) بهذا اللفظ (١٩٧)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٣٤٨).

(٣) أورده ابن القيم في «حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح» (ص: ١٧٦) وذكر هذين الجوابين، وكأن المصنف رحمه الله تعالى اقتبس ذلك منه، وكذلك ذكر كلام سفيان مقتبساً مما ذكره ابن القيم: الزركشي في «البرهان في علوم القرآن» (٢/ ٦٧).

(٤) هذا اللفظ «بعمله» أخرجه الإمام أحمد (٧٤٧٩) (١٠١٢٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

المقابلةِ والمعاوضةِ، والتَّقديرُ: لنْ يستحِقَّ أحدٌ دخولَ الجنَّةِ بعمَلٍ يعمَلُه، فأزالَ بذلك توهُّمَ مَنْ يتوهَّمُ أن الجنة ثمنُ الأعمالِ، وأنَّ صاحبَ العملِ يستحِقُّ على اللهِ تعالى دخولَ الجنَّةِ؛ كما يستحِقُّ مَنْ دفَعَ ثمنَ سِلْعةٍ إلى صاحبِها تسليمَ[1] سِلْعَتِه إليه، فنفى بذلكَ هذا التَّوهُّمَ، وبيَّنَ أنَّ العمَلَ وإنْ كانَ سبباً لدخولِ الجنَّةِ، فإنَّما هوَ مِنْ فضلِ اللهِ ورحمتِه، فصارَ الدُّخولُ مُضافاً إلى فضلِ اللهِ ورحمَتِه ومغفرتِه؛ لأنَّه هوَ المُتفضِّلُ بالسَّبَبِ والمُسبَّبِ المُرَتَّبِ عليه، ولمْ يبقَ الدُّخولُ[2] مُرَتَّباً على العملِ نفْسِه.

وفي «الصَّحيحِ» عنِ النَّبيِّ ﷺ: «أنَّ اللهَ عز وجل يقولُ للجنَّةِ: أنتِ رَحْمَتِي، أرحَمُ بِكِ مَنْ أشاءُ مِنْ عبادي»[3].

وفي هذا قيلَ:

ما لِلعبادِ عليه حقٌّ واجبٌ ... كلَّا ولا فَضْلَ[4] لديه ضائعُ

إنْ عُذِّبوا فبعَدْلِه أوْ نُعِّموا ... فبفضلِه وهوَ الكريمُ الواسِعُ[5]

فإنْ قيلَ: فقد روى حبيبُ بنُ الشَّهيدِ، عنِ الحسَنِ أنَّه قالَ: «الحمدُ للهِ» ثمَنُ كلِّ نِعْمَةٍ، و«لا إلهَ إلَّا اللهُ» ثمَنُ الجنَّةِ[6].

---

(١) مفعول «يستحق».

(٢) في (ج): «إلا الدخول» وهو مخل بالمعنى.

(٣) أخرجه البخاري (٤٨٥٠)، ومسلم (٢٨٤٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) من (ص) و(ع)، وأشير إليه نسخة في حاشية (س)، وفي سائر النسخ: «سعي».

(٥) تمثَّل بالبيتين ابن قيم الجوزية في كثير من كتبه، كـ«التبيان» (ص: ٥١)، و«مدارج السالكين» (٢/ ٣٢٣)، و«طريق الهجرتين وباب السعادتين» (ص: ٣١٨)، و«بدائع الفوائد» (٢/ ١٦٢)، و«الوابل الصيب» (ص: ٦٣) ولعلهما له.

(٦) حديث مقطوع: أخرج ابن أبي شيبة في «المصنف» (٤٣٤٦١) وابن قتيبة في «تأويل مختلف =

ورُوِيَ هذا المعنى مرفوعاً مِنْ حديثِ أبي ذرٍّ[١] وأنسٍ[٢] وغيرِهما[٣]، وإنْ كانَ في أسانيدها ضَعْفٌ.

ويشهَدُ لذلكَ قولُ الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى

= الحديث» (ص: ٢٥٤)، والمحاملي في أماليه (٣٦٣)، والأبهري في فوائده (١٠)، وأبو نعيم في «صفة الجنة» (٥٠)، والسِّلفي في «الطيوريات» (٥٣٣)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٢/ ٩٠) (٥/ ٥٢١) (٧/ ٥٧٠) شطره الثاني.

وعزا ذلك الشطر السيوطي في «الدر المنثور» (١١/ ٤١٩) إلى عبد بن حميد عن الحسن مرفوعاً مرسلاً!!

ورواه الديلمي في «مسند الفردوس» كما في «المداوي» للغماري (١٤٩٨)، وهو في «الفردوس» (٢٥٤٨) عن الحسن عن أنس، وفيه: «وثمن النعمة الحمد لله». والصواب من رواياته: المقطوع.

(١) لم أجد بعد البحث الشديد رواية عن أبي ذر رضي الله عنه في هذا، وقال البوصيري في «إتحاف الخيرة بزوائد المسانيد العشرة» (٧٨٥٠) وقد ذكر مقطوع الحسن: «رواه إسحاق بسند صحيح».

وله شاهد من حديث جابر بن عبد الله مرفوعاً رواه الدارمي في «مسنده»، وفي سنده أبو يحيى القتَّات، وهو مختلف فيه. ولم أجده في الدارمي.

(٢) عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٦٠) إلى ابن شاهين في «السنة»، والديلمي من طريق أبان عن أنس مرفوعاً. وأخرجه أبو نعيم في «صفة الجنة» (٥١)، وابن الفاخر في «موجبات الجنة» (٢) (٣) (٤).

وعزاه السيوطي أيضاً (١/ ٦٠) إلى الخطيب في «تالي التلخيص» من طريق ثابت البناني، عن أنس مرفوعاً. وهو في «موجبات الجنة» لابن الفاخر (١)، وفي «مسند الفردوس» للديلمي كما في «المداوي» للغماري (١٤٩٨)، وهو في «الفردوس» (٢٤١٥).

وأخرجه ابن عدي في «الكامل» (٧/ ٣٨١) من طريق حميد عن أنس مرفوعاً بشطره الثاني.

(٣) أخرج ابن الشجري في «أماليه» «ترتيب الأمالي الخميسية» (١٨٦) عن علي بن أبي طالب قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «التوحيد ثمن الجنة، والحمد لله وفاء شكر كل نعمة».

﴿التَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١]، فجعَلَ الجنَّةَ ثمَناً للنُّفوسِ والأموالِ.

فالجوابُ: أنَّ اللهَ سبحانه وتعالى بفضلِه ورحمته وكرَمِه ومَنِّه وطَوْلِه خاطبَ عبادَه بما ندَبَهمْ إليه مِنْ طاعتِه على حسبِ ما يتعارَفونه بينهمْ في[1] تصرُّفاتِهمُ المعهودةِ المألوفةِ لهمْ، وجعَلَ نفْسَه مُشْتَرِياً منهمْ ومُسْتَقْرِضاً، وجعلَهمْ بائعينَ له ومُقْرِضينَ له؛ ليكونَ ذلكَ أدْعى إلى استجابتهم[2] لدعوتِه ومُبادرتِهمْ إلى طاعتِه، وإلَّا ففي الحقيقةِ الكُلُّ له ومُلْكه[3]، ومِنْ فضلِه وإحسانِه ورحمتِه، فالنُّفوسُ والأموالُ كلُّها مِلْكٌ له؛ كما أُمِرْنا عند المصائب أنْ نقولَ: «إنَّا للهِ وإنَّا إليه راجعونَ».

ومعَ هذا، فقدْ مدَحَ مَنْ بذَلَ له نفْسَه ومالَه، وجعلَه بائِعاً له ومُقْرِضاً؛ كالَّذي له مِلْكٌ يبيعُه ويُقْرِضُه لغيرِه مِمَّنْ لا يملِكُه عليه، وكذلكَ الأعمالُ كلُّها مِنْ فضلِه ورحمتِه، وقدْ مدَحَ عليها ونسَبَها إلى عامليها، وجعلَها شُكْراً منهمْ لِنعمِه، ومُكافأةً لها.

وقد روى ابنُ ماجهْ مِنْ حديثِ أنسٍ مرفوعاً: «ما أنعَمَ اللهُ على عبدٍ نعمةً فقالَ: الحمدُ للهِ، إلَّا كانَ ما أعطى أفضلَ مِمَّا أخَذَ»[4].

وكذلك قالَ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ[5] والحسَنُ[6].....

---

(١) في (ج) و(ق): «من».

(٢) في (س) و(ع): «استجلابهم».

(٣) في (س) و(ع): «ملك».

(٤) أخرجه ابن ماجه (٣٨٠٥).

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٦٩٤٢)، وذكره المصنف في «جامع العلوم والحكم» (٢/ ٨٢).

(٦) أخرجه معمر في «جامعه» (١٩٥٧٥)، وابن أبي الدنيا في «الشكر» (١١١)، ومن طريقه: في «شعب الإيمان» (٤٠٩٤) من قول الحسن. =

وغيرُهما مِنَ السَّلَفِ، وأشكلَ ذلكَ على كثيرٍ مِنَ العلماءِ قديماً وحديثاً[١].

وعلى ما قرَّرْناه معناهُ ظاهرٌ، فإنَّ المُرادَ بالنِّعَمِ النِّعَمُ الدُّنيويَّةُ، والحمدُ

= قال البيهقي: «والمحفوظ عن الحسن من قوله مرة، وعن النبي ﷺ مرسلاً أخرى».

والرواية المرسلة: أخرجها هناد بن السري في «الزهد» (٧٧٦)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤٠٩٣).

(١) أشكل قديماً على الإمام الجليل سفيان بن عيينة، كما ذكر ابن أبي الدنيا في «الشكر» (١١١) وقد سُئل عن أنَّ من قال: الحمد لله كان ما أعطى خير مما أخذ؟ فقال: هذا خطأ، لا يكون فعل العبد أفضل من فعل الله عز وجل.

قال ابن أبي الدنيا: «وقال بعض أهل العلم إنما تفسيرها: أن الرجل إذا أنعم الله عليه نعمة، وهو ممن يجب أن يحمده، عرَّفه الله عز وجل ما صنع به فيشكر الله عز وجل كما ينبغي له أن يشكره، فذهب لله عز وجل شكر العبادة التي في النعمة، وكان الحمد له فضلاً».

وقال الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (٩٣٠) في بيان معنى حديث أنس بن مالك مرفوعاً: «لو أن الدنيا كلها بحذافيرها في يدي رجل من أمتي، ثم قال: الحمد لله، لكان الحمد لله أفضل من ذلك»: «لأن الدنيا فانية والكلمة باقية، وهي من الباقيات الصالحات». وقال في شرح حديث أنس عند ابن ماجه: «فصيّر الكلمة إعطاء من العبد، والدنيا أخذاً من الله، وهذا في التدبير...، وكلاهما من الله في الأصل، الدنيا منه والكلمة منه أعطاه الدنيا فأغناه بها، وأعطاه الكلمة فشرَّفه بها في الآخرة وخفف عنه أثقالها لينعم بها في الدنيا».

وقال البيهقي في «الشعب» (٤٠٩٤) متعقباً ابن عيينة: «هذه غفلة من عالم، وذاك لأن العبد لا يصل إلى حمد الله وشكره إلا بتوفيقه، وإنما فضلُه لما فيه من حسن الثناء على الله عز وجل ومدحه إياه، وليس ذلك في النعمة الأولى».

قلت: وهذا معنى القول المشهور للإمام الشافعي في فاتحة رسالته: «والحمد لله الذي لا يُؤدى شكر نعمةٍ من نعمه إلا بنعمة منه توجب على مؤدي ماضي نعمه بأدائها: نعمة حادثة يجب عليه شكره بها».

مِنَ النِّعَمِ الدِّينيَّةِ، والنِّعَمُ الدِّينيَّةُ أفضلُ مِنَ النِّعَمِ الدُّنيويَّةِ، ولكنْ لَمَّا كانَ الحمدُ منسوباً إلى العبدِ لِفِعْلِه له وقيامِه به، جعَلَه اللهُ مُعْطياً لأعظمِ النِّعمتينِ، مُكافِئاً بها للنِّعمةِ الأخرى.

ولهذا جاءَ في الأثرِ: الحمدُ للهِ حَمْداً يُوافي نِعَمَه، ويُدافِعُ نِقَمَه، ويُكافئُ مزيدَه[1].

---

(١) أخرج أبو الشيخ الأصبهاني في «العظمة» (٥/ ١٥٧٦) عن أبي صالح قال: لما أُهبط آدم إلى الأرض فابتُلي بالحرث والنسج عما كان يسبح مع الملائكة المقربين، قال: يا رب! لو شئت لفرغتني للتسبيح والمحامد، فأوحى الله عز وجل إليه أن قل: الحمد لله رب العالمين حمدًا يوافي نعمه ويكافئ مزيده، فإنك إذا فعلت ذلك غلبت جميع من خلقت بالتسبيح والمحامد.

وذكر ابن الصلاح في «أماليه» فيما نقله عنه ابن حجر في «التلخيص الحبير» (٤/ ٣١٧) عن أبي نصر بن التمار عن محمد بن النضر قال: قال آدم: يا رب شغلتني بكسب يدي، فعلمني شيئاً فيه مجامع الحمد والتسبيح، فأوحى الله إليه: يا آدم! إذا أصبحت فقل ثلاثاً، وإذا أمسيت فقل ثلاثاً: الحمد لله رب العالمين حمدًا يوافي نعمه، ويكافئ مزيده، فذلك مجامع الحمد والتسبيح. وهذا معضل.

وقال ابن الصلاح في كلامه على «الوسيط»: «ضعيف الإسناد منقطع غير متصل».

أما ما أورده المنذري في «الترغيب والترهيب» (٢٣٣٤) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً من ذكر هذه الصيغة من الحمد وأن الحفظة تقول: ما ندري كيف نكتبه، وعزاه إلى «الضعفاء» للبخاري، فلم أقف عليه، وأخشى أن يكون رواية معلة من الحديث الذي أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٩٢٤٩) بصيغة أخرى من صيغ الحمد.

وقد صَوَّب المصنفُ ابنُ رجب رحمه الله تعالى قولَ من أجاز هذه الصيغة من الحمد في شرح الحديث السادس والعشرين من «جامع العلوم والحكم» (٢/ ٨٢ ـ ٨٣).

وشيخه ابن القيم رحمه الله تعالى في «عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين» (ص: ٣٩) أشار إلى أن هذه الصيغة من الحمد ليست بحديث عن رسول الله ﷺ ولا عن أحد من الصحابة، وإنما هو أثر إسرائيلي، لكنه فسره بما يصح حملُه عليه.

فبهذا الاعتبارِ يكونُ الحمدُ ثمَناً للجنَّةِ.

وعندَ تحقيقِ النَّظَرِ، فالجنَّةُ والعمَلُ كلاهما مِنْ فضلِ اللهِ ورحمتِه على عبادِه المؤمنين، ولهذا يقولُ أهلُ الجنَّةِ عندَ دخولِها: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾، فلمَّا اعترفوا لله بنعمتِه عليهمْ بالجنَّةِ وبأسبابِها مِنَ الهدايةِ، وحمِدوا اللهَ على ذلك كلِّه جُوزُوا بأنْ نودوا أنْ ﴿تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣]، فأُضيفَ العمَلُ إليهمْ، وشُكروا عليه.

ونظيرُ هذا ما قالَه بعضُ السَّلَفِ: إنَّ العبدَ إذا أذنبَ، ثمَّ قالَ: يا ربِّ! أنتَ قضيتَ عليَّ، قالَ له ربُّه: أنتَ أذنبْتَ، وأنتَ عصيْتَ، فإنْ قالَ العبدُ: يا ربِّ! أنا أخطأْتُ، وأنا أذنبْتُ، وأنا أسأْتُ، قالَ اللهُ تعالى: أنا قضيتُ عليكَ وقدَّرْتُ، وأنا أغفِرُ لكَ[1].

وممَّا يتحقَّقُ به معنى قولِ النَّبيِّ ﷺ: «لنْ يدخُلَ أحدٌ الجنَّةَ بعمَلِه»، أوْ: «لنْ يُنجِّيَ أحداً عملُه»: أنَّ مُضاعفَةَ الحسناتِ إنَّما هيَ مِنْ فضلِ اللهِ عزَّ وجلَّ وإحسانِه، حيثُ جازى بالحسنة عشراً، ثمَّ ضاعَفَها إلى سبعمائةِ ضِعْفٍ إلى أضعافٍ كثيرةٍ، فهذا كلُّه فضلٌ منه عزَّ وجلَّ، ولوْ جازى بالحسنةِ مِثْلَها كالسَّيِّئاتِ لمْ تقْوَ الحسناتُ على إحباطِ السَّيِّئاتِ، فكانَ يهلِكُ صاحبُ العملِ لا مَحالةَ.

كما قالَ ابنُ مسعودٍ في صفةِ الحسناتِ: إنْ كانَ وليًّا للهِ ففضَلَ له مثقالُ ذرَّةٍ ضاعفَها اللهُ له حتَّى يُدْخِلَه بها الجنَّةَ، وإنْ كانَ شقيًّا قالَ الملَكُ: يا ربِّ! فنِيَتْ

---

(١) أورد نحوه أبو طالب المكي في «قوت القلوب» (٢/ ٨٠) من كلام سهل التستري رحمه الله تعالى.

حسناتُه، ويبقَى له طالبون كثيرٌ، قالَ: خذوا مِنْ سيِّئاتهمْ، فأضيفوها إلى سيِّئاتِه، ثمَّ صُكُّوا له صَكًّا إلى النَّارِ[١].

فتبيَّنَ بهذا أنَّ مَنْ أرادَ اللهُ سعادتَه أَضْعَفَ[٢] اللهُ له حسناته حتَّى يستوفيَ منه الغُرَماءُ، ويَبْقَى له منها مثقالُ ذرَّةٍ، فتُضاعَفُ له، ويدخُلُ بها الجنَّةَ، وذلكَ مِنْ فضلِ اللهِ ورحمتِه، ومَنْ أرادَ اللهُ شقاوتَه وله غُرماءُ، لمْ تُضاعَفْ حسناتُه كما تُضاعَفُ لِمَنْ أرادَ اللهُ سعادتَه، بلْ يُضاعِفُها عشراً، فتُقْسَمُ على الغُرماءِ، فيستوفونها كلَّها، وتبقى لهمْ عليه مظالمُ، فيُطْرَحُ عليه مِنْ سيِّئاتهمْ، فيدخُلُ بها النَّارَ، فهذا عَدْلُه، وذاكَ فَضْلُه.

ومِنْ هنا قالَ يحيى بنُ معاذٍ: إذا بسَطَ فضلَه لمْ يُبْقِ لأحدٍ سيِّئةً، وإذا جاءَ عدْلُه لمْ يُبْقِ لأحدٍ حسنةً[٣].

وأيضاً فقدْ ثبَتَ عنِ النَّبيِّ ﷺ أنَّه قالَ: «مَنْ نوقشَ الحسابَ هلَكَ»[٤].

وفي روايةٍ: «عُذِّبَ»[٥]، وفي روايةٍ: «خُصِمَ»[٦].

وخرَّجَ أبو نُعيمٍ مِنْ حديثِ عليٍّ مرفوعاً: «أوحى اللهُ تعالى إلى نبيٍّ مِنَ الأنبياءِ

---

(١) أخرجه مطولًا ابن أبي الدنيا في «الأهوال» (٢٥٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٩٥٤). وفي إشارة إلى نسخة بحاشية (ق): «كثيرون».

(٢) في (س): «ضاعف».

(٣) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ٥١) بلفظ مقارب.

(٤) أخرجه البخاري (٤٩٣٩)، ومسلم (٢٨٧٦) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٥) أخرجه البخاري (٦٥٣٦)، ومسلم (٢٨٧٦) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٦) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٤/ ٥٨٠)، والدارقطني في «المؤتلف والمختلف» (٢/ ٦٠٧)، ولفظه: «من حوسب خصم».

أنبياءِ بني إسرائيلَ: قلْ لأهلِ طاعَتي مِنْ أُمَّتِكَ: لا يتَّكِلوا على أعمالِهِمْ، فإنِّي لا أُناصُّ[١] عبداً الحسابَ يومَ القيامةِ أشاءُ أنْ أعذِّبَه إلَّا عذَّبْتُه، وقلْ لأهلِ معصيتي مِنْ أمَّتِكَ: لا يُلقوا بأيديهِمْ، فإنِّي أغفِرُ الذَّنبَ العظيمَ ولا أُبالي[٢].

وقالَ عبدُ العزيزِ بنُ أبي رَوَّادٍ: أوحى اللهُ تعالى إلى داودَ عليه السَّلامُ: يا داودُ! بشِّرِ المُذنبين، وأنذرِ الصِّدِّيقين، فكأنَّه عجِبَ، فقالَ: يا ربِّ! أبشِّرُ المُذنبين، وأنذرُ الصِّدِّيقين؟ قالَ: نعمْ، بشِّرِ المُذنبين أنَّه لا يتعاظَمُني ذنبٌ أغفِرُه، وأنذرِ الصِّدِّيقين أنِّي لا أضَعُ عَدْلي وحسابي على عبدٍ[٣] إلَّا هلَكَ[٤].

وقالَ ابنُ عُيَيْنَةَ: المُناقشةُ سوءُ الاستقصاءِ حتَّى لا يُتْرَكَ منه شيءٌ[٥].

وقالَ ابنُ زيدٍ: الحسابُ الشَّديدُ الَّذي ليسَ فيه شيءٌ مِنَ العفوِ، والحسابُ اليسيرُ الَّذي تُغْفَرُ ذنوبُه، وتُتَقبَّلُ[٦] حسناتُه[٧].

فتبيَّنَ بهذا أنَّه لا نجاةَ للعبدِ بدونِ المغفرةِ والعفوِ والرَّحمةِ والتَّجاوزِ، وأنَّه متى أُقيمَ العدْلُ المحْضُ على عبْدٍ هلَكَ.

---

(١) في (س) و(ع): «أناض»، وفي حاشية (ع): «لعل الصواب: أقاضي»، وفي (ج): «أناضل» وفي حاشيتها: «أناقش» وفي (ق): «أناصي»، والصواب المثبت من (ص). وذكره ابن الأثير في «النهاية» (نصَص)، وفسره فقال: أي لا أستقصي عليه في السؤال والحساب.

(٢) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٤٨٤٤) مطولًا، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ١٩٥). ووقع في مطبوعيهما: «أقاص» وهو تصحيف فليصحح.

(٣) في (ع): «أحد».

(٤) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ١٩٥).

(٥) أخرجه الدينوري في «المجالسة» (٣). ثم قال سفيان: «أبشروا، فإنه ما استقصى كريمٌ حقَّه قط..».

(٦) في (ع) و(ج): «وتقبل»، وفي (ص): «تثقل».

(٧) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٣٨).

وممَّا يُبيِّنُ ذلكَ أيضاً: قولُه تعالى: ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ [التكاثر: ٨]، فهذا يدلُّ على أنَّ النَّاسَ يُسألون عنِ النَّعيمِ في الدُّنيا: وهلْ قاموا بشُكْرِه أمْ لا؟ فمَنْ طولبَ بالشُّكرِ على كلِّ نعمةٍ نعمةٍ من نِعمَ اللهِ مِنْ عافيةٍ، وستْرٍ، وصِحَّةِ جسمٍ، وسلامةِ حواسَّ، وطيبِ عَيْشٍ، واستُقْصيَ ذلك عليه[1] لمْ تَفِ أعمالُه كلُّها بشُكْرِ بعضِ هذه النِّعَمِ، وتبقى[2] سائرُ النِّعَمِ غيرَ مقابَلَةٍ بشُكْرٍ، فيستحقُّ صاحبُها العذابَ بذلكَ.

وخرَّجَ الخرائِطِيُّ في كتابِ «الشُّكرِ» مِنْ حديثِ عبدِ اللهِ بنِ عمروٍ مرفوعاً: «يُؤتى بعبدٍ يومَ القيامةِ، فيوقفُ بينَ يدي اللهِ عزَّ وجلَّ، فيقولُ لملائكته: انظروا في عملِ عبدي ونِعْمتي[3] عليه، فينظرون فيقولون: ولا بقَدْرِ نعمةٍ واحدةٍ مِنْ نِعَمِكَ عليه، فيقولُ: انظروا في عملِه سيِّئِه وصالِحه، فينظرون فيجدونه كَفافاً، فيقولُ: عَبْدي! قدْ قبِلْتُ حسناتِكَ، وغفرْتُ لكَ سيِّئاتكَ، وقدْ وهبْتُ لكَ نعمتي[4] فيما بينَ ذلكَ»[5].

وخرَّجَ الطَّبرانيُّ مِنْ حديثِ ابنِ عمرَ مرفوعاً: «إنَّ الرَّجلَ يأتي يومَ القيامةِ بالعملِ لوْ وُضِعَ على جبلٍ لأثقَلَه، فتقوم[6] النِّعمَةُ مِنْ نِعَمِ اللهِ، فتكادُ أنْ تستنفِدَ ذلكَ إلَّا أنْ يتطاولَ اللهُ برحمتِه»[7].

---

(١) في (س) و(ع): «على ذلك».

(٢) هنا ينتهي القسم المتأخر من نسخة (ج) ويبدأ أصل النسخة.

(٣) في (س) و(ع): «ونعمي».

(٤) في (س) (ع): «نعمي».

(٥) أخرجه الخرائطي في «فضيلة الشكر لله على نعمته» (٥٧). وذكره المصنف في «جامع العلوم والحكم» (٢/ ٧٩) وقال: «بإسناد فيه نظر».

(٦) المثبت من (ص)، وفي سائر النسخ: «فتقدم»، تصحيف.

(٧) أخرجه مطولًا الطبراني في «الكبير» (١٣٥٩٥)، وفي «الأوسط» (١٥٨١)، وذكره المصنف في «جامع العلوم والحكم» (٢/ ٧٧) وأشار إلى ضعف أحد رواته.

وخرَّجَ ابنُ أبي الدُّنيا مِنْ حديثِ أنسٍ رضي الله عنه مرفوعاً: «يُؤتى بالنِّعَمِ يومَ القيامةِ، ويُؤتى بالحسناتِ والسَّيِّئاتِ، فيقولُ اللهُ لِنعمةٍ مِنْ نِعَمِه: خُذِي حقَّكِ مِنْ حسناتِه، فما تَتْرُكُ له حسنةً إلَّا ذهبَتْ بها»[١].

وبإسنادِه عنْ وهْبِ بنِ مُنَبِّهٍ قالَ: عبَدَ عابدٌ خمسين عاماً[٢]، فأوحى اللهُ تعالى إليه: إنِّي قد غفرْتُ لكَ، قالَ: يا ربِّ! وما[٣] تغفِرُ لي ولمْ أُذْنِبْ؟! فأذِنَ اللهُ لِعِرْقٍ في عنُقِه، فضَرَبَ عليه، فلمْ ينَمْ ولمْ يُصَلِّ ثم سكَنَ وقامَ، فأتاهُ ملَكٌ، فشكى إليه ما لقِيَ مِنْ ضرَبانِ العِرْقِ، فقالَ الملَكُ: إنَّ ربَّكَ عزَّ وجلَّ يقولُ: عبادتُكَ خمسينَ سنةً تعدِلُ سكونَ ذلكَ العِرْقِ[٤].

وفي «صحيحِ الحاكمِ» عنْ جابرٍ مرفوعاً، عنْ جبريلَ عليه السَّلامُ: «إنَّ عابداً عبَدَ اللهَ تعالى على رأسِ جبلٍ في البحرِ خمسمائةِ سنةٍ، ثمَّ سألَ ربَّه أنْ يقبِضَه ساجداً، قالَ جبريلُ: فنحنُ نمرُّ عليه إذا هبَطْنا وإذا عرَجْنا، ونجدُ في العلمِ أنَّه يُبْعَثُ[٥] يومَ القيامةِ، فيوقَفُ بينَ يدي اللهِ عزَّ وجلَّ، فيقولُ الربُّ[٦] عزَّ وجلَّ: أدخِلوا عبدي الجنَّةَ برحمتي، فيقولُ العبدُ: يا ربِّ بعمَلي، يفعَلُ ذلكَ ثلاثَ مرَّاتٍ، ثمَّ يقولُ اللهُ تعالى للملائكةِ: قايِسوا عبدي بنِعَمتي عليه وبعمَلِه، فيجدون نِعْمَةَ البصرِ قدْ أحاطَتْ

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (٢٤). وذكره المصنف في «جامع العلوم والحكم» (٢/ ٧٨) وقال: «بإسناد فيه ضعف».

(٢) في (س) و(ع): «سنة».

(٣) في (س) و(ع): «ولم لا».

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (١٤٨)، ومن طريقه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ٦٨)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤٣٠٢)، وفي (س): «سكن ونام» وهو كذلك في مطبوعات المصادر.

(٥) في (ع): «إذا بعث».

(٦) في (س) و(ع): «الله».

بعبادة[١] خمس مئة سنةٍ، وبقِيَتْ نِعَمُ الجسدِ له، فيقولُ: أدخِلوا عبدي النَّارَ، فيُجَرُّ إلى النَّارِ، فيُنادي: برحمتكَ يا ربِّ أدخِلني الجنَّةَ برحمتك أدخلني الجنة، فيُدخِلُه الجنَّةَ. قالَ جبريلُ: إنَّما الأشياءُ برحمةِ اللهِ يا محمَّدُ!»[٢].

فمَنْ حقَّقَ معرفةَ هذه الأمورِ، عرَفَ أنَّ العمَلَ وإنْ عظُمَ فإنَّه لا يستقِلُّ بنجاةِ العبدِ، ولا يستحِقُّ به على اللهِ عز وجل دخولَ الجنَّةِ، ولا النَّجاةَ مِنَ النَّارِ، وحينئذٍ فيُفْلِسُ العبدُ مِنْ عمَلِه، ويأسُ مِنَ الاتِّكالِ عليه ومِنَ النَّظَرِ إليه وإنْ كثُرَ العمَلُ وحسُنَ، فكيفَ بِمَنْ ليسَ له كثيرُ عملٍ[٣]، أو ليسَ له عملٌ حسَنٌ، فإنَّ هذا ينبغي أنْ يشغَلَه الفِكْرُ في التَّقصيرِ في عمَلِه، ويشتَغِلَ بالتَّوبةِ مِنْ تقصيرِه والاستغفارِ منه.

فأمَّا مَنْ حسُنَ عملُه وكثُرَ، فإنَّه ينبغي له أنْ يشتَغِلَ بالشُّكرِ عليه، فإنَّ ذلكَ مِنْ أعظمِ نِعَمِ اللهِ على عبْدِه، فتجبُ مقابلتُه بالشُّكرِ عليه، وبرؤيةِ التَّقصيرِ في القيامِ بشُكرِه؛ كما كان وُهَيْبُ بنُ الوردِ إذا سُئِلَ عنْ أجرِ عمَلٍ مِنَ الأعمالِ يقولُ: لا تسألوا عنْ أجرِه، ولكنْ سَلُوا عمَّا يجبُ على منْ هُدِيَ له مِنَ الشُّكرِ عليه[٤].

وكانَ أبو سليمانَ يقولُ: كيفَ يُعْجَبُ عاقلٌ بعمَلِه، وإنما يُعَدُّ[٥] العملُ نِعْمَةً

---

(١) في (ج) و(ق): «بعبادته».

(٢) أخرجه مطولًا الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٢٥٠)، وذكره المصنف في «جامع العلوم والحكم» (٢/ ٧٨) وأشار إلى أن أحد رواته مجهول.

(٣) في (ص): «كبير عمل»، وفي (س) و(ع): «عمل كثير».

(٤) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ١٥٥)، وفيه أنه قال: لا يزال الرجل يأتيني، فيقول: يا أبا أمية! ما ترى فيمن يطوف بهذا البيت ماذا فيه من الأجر؟ فأقول: اللهم غفراً، قد سألني عن هذا غيرك فقلت: بل سلوني عن من طاف بهذا البيت سبعاً ما قد أوجب الله تعالى عليه فيه من الشكر، حيث رزقه الله طواف ذلك السبع.

(٥) تصحف في (س) و(ع) إلى: «يعدل».

مِنْ نِعَمِ اللهِ عزَّ وجلَّ؟ إنَّما ينبغي له أنْ يشكُرَ ويتواضَعَ، إنما يعجَبُ بعملِه القدَريَّةُ ـ يعني ـ الَّذينَ لا يرونَ أن أعمالَ العبادِ مخلوقةٌ للهِ عزَّ وجلَّ[١].

وما أحسنَ ما قالَ أبو بكرٍ النَّهْشَلِيُّ يومَ ماتَ داودُ الطَّائيُّ، وقامَ ابنُ السَّمَّاكِ بعدَ دفنِه يُثني عليه بصالحِ عملِه ويبكي، والنَّاسُ يبكون، ويُصدِّقونه على مقالتِه[٢]، ويشهدون بما يُثْنِي به عليه، فقامَ أبو بكرٍ النَّهْشَلِيُّ فقالَ: اللَّهُمَّ اغفِرْ له، وارْحَمْه، ولا تكِلْهُ إلى عمَلِه[٣].

وفي «سننِ أبي داودَ» عنْ زيدِ بنِ ثابتٍ مرفوعاً: «لوْ عذَّبَ اللهُ أهلَ سماواتِه وأهلَ أرضِه لعذَّبَهمْ وهوَ غيرُ ظالمٍ لهمْ، ولوْ رحِمَهمْ لكانتْ رحمَتُه خيراً لهمْ مِنْ أعمالِهمْ»[٤].

وفي «صحيحِ الحاكمِ» عنْ جابرٍ أنَّ رجلاً جاءَ إلى النَّبيِّ ﷺ فقالَ: وا ذُنوباهُ، وا ذُنوباهُ، قالَها مرَّتينِ أوْ ثلاثاً، فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «قلِ: اللَّهُمَّ مغفِرَتُكَ أوسعُ[٥] مِنْ ذنوبي، ورحمَتُكَ أرجى عندي مِنْ عمَلِي»، فقالَها، ثمَّ قالَ: «عُدْ»، فعادَ ثم قال: «عد» فعاد، [ثم قال له «عد»، فعاد][٦]، فقالَ: «قُمْ، فقدْ غفَرَ اللهُ لكَ»[٧].

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ٢٦٣). وأبو سليمان هو الداراني رحمه الله تعالى. ولفظه: «.. القدرية الذين يزعمون أنهم يعملون، فأما من زعم أنه مستعمل، فبأي شيء يعجب؟».

(٢) في (س) و(ع): «ويصدقون مقالته».

(٣) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ٣٣٩).

(٤) أخرجه أبو داود (٤٦٦٦).

(٥) في (ج) و(ع) و(ق): «أوسع لي». ولا يوجد «لي» في مصادر التخريج.

(٦) ما بين معقوفين من (ج) وحدها ولا يوجد في مطبوعة «المستدرك».

(٧) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (١/ ٥٤٣)، ومن طريقه البيهقي في «شعب الإيمان» (٦٧٢٤).

وقيلَ في هذا المعنى:

ذنوبـيَ إنْ فكَّـرْتُ فيهـا كـثيـرةٌ ورحمةُ ربِّـي مِـنْ ذنوبـيَ أوسـعْ

ومـا طمَعـي فـي صالـحٍ قـدْ عمِلْتُه ولكـنَّـني فـي رحمـةِ اللهِ أطمَـعُ[1]

فإذا تقرَّرَ ذلكَ ـ أيْ: هذا الأصلُ الشريف العظيمُ ـ وعُلِمَ أنَّ العمَلَ بنفْسِه لا يُوجِبُ النَّجاةَ مِنَ النَّارِ، ولا دخولَ الجنَّةِ، فضْلاً عنْ أنْ يُوجِبَ بنفْسِه الوصولَ إلى أعلى ما في الجنَّةِ مِنْ منازلِ المُقرَّبينَ، والنَّظَرَ إلى وجْهِ ربِّ العالمينَ، وإنَّما ذلكَ كلُّه برحمةِ اللهِ وفضْلِه ومغفرتِه، فذلكَ يُوجِبُ على المؤمنِ أنْ يقطَعَ نظَرَه عنْ عملِه بالكُلِّيَّةِ، وأنْ لا ينظُرَ إلَّا إلى فضْلِ اللهِ ومِنَّتِه عليه.

كما سُئِلَ بعضُ العارفين: أيُّ الأعمالِ أفضلُ؟ قالَ: رؤيةُ فضلِ اللهِ عزَّ وجلَّ. وأنشَدَ:

إنَّ المقاديـرَ إذا سـاعـدَتْ ألحقَتِ العاجِـزَ بالحـازمِ[2]

فيتعيَّنُ حينئذٍ على العبدِ المؤمنِ الطَّالِبِ للنَّجاةِ مِنَ النَّارِ، ولِدخولِ الجنَّةِ، وللقُرْبِ مِنْ مولاه، والنظرِ إليه في دارِ كرامتِه: أنْ يطلُبَ ذلكَ بالأسبابِ الموصِلَةِ إلى رحمةِ اللهِ وعفوِه ومغفرتِه ورضاهُ ومحبَّتِه، فبِها يُنالُ ما عندَ اللهِ مِنَ الكرامةِ؛ إذِ اللهُ

---

(١) أوردهما ابن الجزري في «الزهر الفائح في ذكر من تنزه عن الذنوب والقبائح» (ص: ٣٨) ولم ينسبهما، وذكر البيت الثاني محمد بن أيدمر المستعصمي في «الدر الفريد وبيت القصيد» (١٠/ ٣٩٨) من غير نسبة، ونُسِبَ البيتان مع غيرهما إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، كما في الديوان المجموع مما نُسب إليه. والله أعلم.

(٢) أخرجه السلمي في «طبقات الصوفية» (ص: ٢٦٨)، ومن طريقه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ٣٥٥) من كلام الزاهد أبي محمد المرتعش رحمه الله تعالى. وفي حاشية (ق) إشارة إلى نسخة: «بالقادر».

سبحانه وتعالى قدْ جعلَ للوصولِ إلى ذلكَ أسباباً مِنَ الأعمالِ الصَّالحةِ الَّتي جعَلَها مُوصِلَةً إليها، وليسَ ذلكَ موجوداً إلَّا فيما شرَعَه اللهُ لعبادِه على لسانِ رسولِه، وأخبرَ عنه رسولُه ﷺ أنَّه يقرِّبُ إلى اللهِ، ويُوجِبُ رِضْوانَه ومغفرتَه، وأنَّه مِمَّا يُحبُّه اللهُ، أوْ[1] أنَّه أحبُّ الأعمالِ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ، فقد قالَ اللهُ تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦]، وقالَ: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

فالواجبُ على العبدِ البحثُ عنْ خِصالِ التَّقوى، وخِصالِ الإحسانِ الَّتي شرَعَها اللهُ في كتابِه، أوْ على لسانِ رسولِه ﷺ، والتَّقَرُّبُ بذلكَ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ، فإنَّه لا طريقَ للعبدِ يوصِلُه إلى رضى مولاه وقُرْبِه ورحمتِه وعفوِه ومغفرتِه سوى ذلكَ.

وقدْ أشارَ النَّبيُّ ﷺ في هذه الأحاديثِ المُشارِ إليها في أوَّلِ الجزءِ مِنْ روايةِ عائشةَ رضي الله عنها وأبي هريرةَ رضي الله عنه إلى أنَّ أحبَّ الأعمالِ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ شيئانِ:

أحدُهما: ما داومَ عليه صاحبُه وإنْ كانَ قليلاً.

وهكذا كانَ عمَلُ النَّبيِّ ﷺ وعمَلُ آلِه وأزواجِه مِنْ بعدِه، وكانَ ينهى عنْ قطعِ العمَلِ.

وقالَ لعبدِ اللهِ بنِ عمرو بنِ العاصِ: «لا تكنْ مِثْلَ فلانٍ كانَ يقومُ اللَّيلَ؛ فتركَ قيامَ الليل»[2].

---

(١) في (س): «وأنه». وفي (ج): «وأحب».

(٢) أخرجه البخاري (١١٥٢)، ومسلم (١١٥٩).

وقالَ: «يُستجابُ لأحدكمْ ما لمْ يعجلْ، فيقولُ: قدْ دعوتُ فلمْ أر[١] يُسْتَجَبْ لي، فيستحسِرُ عندَ ذلكَ، ويدعُ الدُّعاءَ»[٢].

قالَ الحسنُ: إذا نظَرَ إليكَ الشَّيطانُ فرآكَ مُداوماً على طاعةِ اللهِ عزَّ وجلَّ، فبغاكَ وبغاكَ، فرآكَ مُداوماً ملَّكَ ورفَضَكَ، وإذا رآكَ مرَّةً هكذا ومرَّةً هكذا طمِعَ فيكَ[٣].

والثَّاني: أنَّ أحبَّ الأعمالِ إلى اللهِ ما كانَ على وجْهِ السَّدادِ والاقتصادِ والتَّيسيرِ دونَ ما كانَ على وجْهِ التَّكلُّفِ والاجتهادِ والتَّعْسيرِ؛ كما قالَ تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقال: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾ [المائدة: ٦]، وقال: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨].

وكانَ النَّبيُّ ﷺ يقولُ: «يسِّروا ولا تُعسِّروا»[٤].

وقالَ: «إنَّما بُعِثْتُمْ مُيَسِّرين، ولمْ تُبْعثوا مُعَسِّرين»[٥].

وفي «المسندِ» عنِ ابنِ عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنهما: قيلَ لرسولِ اللهِ ﷺ: أيُّ الأديانِ أحبُّ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ؟ قالَ: «الحنيفيَّةُ السَّمْحَةُ»[٦].

وفيه أيضاً عنْ مِحْجَنِ بنِ الأَدْرَعِ: أنَّ النَّبيَّ ﷺ دخَلَ إلى المسجدِ، فرأى رجلاً قائماً يُصلِّي، فقالَ: «أتقوله صادقاً؟»، فقيلَ: يا نبيَّ اللهِ! هذا فلانٌ، وهذا مِنْ أحسنِ

---

(١) في (ص) و(ج) و(ع) و(ق): «فلم يستجب».

(٢) أخرجه البخاري (٦٣٤٠)، ومسلم (٢٧٣٥) واللفظ له من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٢٠)، وفي (ص): «وإذا كنت مرة هكذا...».

(٤) أخرجه البخاري (٦٩) (٦١٢٥)، ومسلم (١٧٣٤) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٥) أخرجه البخاري (٢٢٠)، (٦١٢٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٦) أخرجه الإمام أحمد (٢١٠٧).

أهلِ المدينةِ، أوْ مِنْ أكثرِ أهلِ المدينةِ صلاةً، فقالَ: «لا تُسْمِعْهُ فتُهْلِكَهُ[١] ـ مرَّتينِ أوْ ثلاثاً ـ إنَّكمْ أمَّةٌ أُريدَ بكمُ اليُسْرُ»[٢].

وفي روايةٍ أخرى له قالَ: «إنَّ خيرَ دينِكمْ أيسَرُه»[٣].

وفي روايةٍ أخرى له قال: «إنَّكمْ لنْ تنالوا[٤] هذا الأمرَ بالمُغالَبةِ»[٥].

وخرَّجَه حُمَيدُ بنُ زَنْجُوْيَه، وزادَ فيه فقالَ: «واكْلَفوا مِنَ العملِ ما تُطيقونَ، فإنَّ اللهَ لا يمَلُّ حتَّى تملُّوا، الغُدْوَةُ والرَّوْحَةُ وشيءٌ مِنَ الدُّلْجَةِ»[٦].

وفي «المسندِ» عنْ بُريدةَ قالَ: خرجْتُ فإذا رسولُ اللهِ ﷺ يمشي فلحِقْتُه، فإذا نحنُ بينَ أيدينا برجلٍ يُصلِّي يُكْثِرُ الرُّكوعَ والسُّجودَ، قالَ: «أتُراه يُرائي؟»، قلتُ: اللهُ ورسولُه أعلَمُ، قالَ: فترَكَ يَده من يدي، ثم جمعَ بين يديه، فجعَلَ يُصوِّبُهما ويرفعُهُما، ويقولُ: «عليكمْ هَدْياً قاصِداً، عليكمْ هَدْياً قاصِداً، عليكمْ هَدْياً قاصِداً، فإنَّه مَنْ يُشادَّ هذا الدِّينَ يغلِبْه»[٧].

وقدْ رُوِيَ مِنْ وجهٍ آخرَ مُرْسَلٍ، وفيه: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ: «إنَّ هذا آخِذٌ

---

(١) في (ج) و(ق): «لا تسمعوه فتهلكوه».

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٢٠٣٤٧).

(٣) أخرجه الإمام أحمد (١٨٩٧٦) (٢٠٣٤٩)، وهو من حديث بريدة عن محجن (١٨٩٧٦).

(٤) في (ج): «تبلغوا».

(٥) أخرجه الإمام أحمد (١٨٩٧١).

(٦) ذكره المصنف رحمه الله في «فتح الباري» (١/ ١٣٧) كما هنا. وكتاب ابن زنجويه ليس مطبوعاً. وفي (ج): أُلحقت: «وعليكم» بالغدوة.

(٧) أخرجه الإمام أحمد (٢٢٩٦٣) وعنده: «يدي من يده».

بالعُسْرِ، ولَمْ يأْخُذْ باليُسْرِ». ثُمَّ دفَعَ في صدرِه[١]، فخرَجَ مِنَ المسجدِ ولَمْ يُرَ فيه بعدَ ذلكَ[٢].

وقدْ أنكَرَ النَّبيُّ ﷺ على مَنْ عزَمَ على التَّبتُّلِ والاختصاءِ وقيامِ اللَّيلِ وصيامِ النَّهارِ وقراءةِ القرآنِ كلَّ ليلةٍ؛ كعبدِ اللهِ بنِ عمرِو بنِ العاصِ، وعثمانَ بنِ مَظْعونٍ، والمقدادِ وغيرِهم[٣]، وقالَ: «ولكنِّي أصومُ وأفطِرُ، وأقومُ وأنامُ، وأتزوَّجُ النِّساءَ، فمَنْ رغِبَ عنْ سُنَّتي فليسَ منِّي»[٤].

وانتهى بعبدِ اللهِ بنِ عمرٍو أنْ يقرَأَ القرآنَ في كلِّ سبعٍ[٥].

وفي روايةٍ: أنَّه انتهى به إلى قراءتِه في كل ثلاثٍ، وقالَ: «لا يفقَهُ مَنْ قرأَه في أقلَّ مِنْ ثلاثٍ»[٦].

وانتهى به في الصِّيامِ إلى صيامِ داودَ عليه السلام، وقالَ: «لا أفضَلَ مِنْ ذلكَ»، وفي القِيامِ إلى قيامِ داودَ عليه السَّلامُ[٧].

---

(١) في (ج) و(ق): «ثم وقع في صدره كَلْم»!

(٢) أخرجه الخلال في «الورع» من حديث عبد الله بن شقيق مرسلًا فيما نقله أبو يعلى الفراء في «التوكل» (ص: ٧٦). وقد ذكره الخطابي في «غريب الحديث» (١/ ٥٧٥) موصولاً عن عبد الله بن شقيق عن محجن رضي الله عنه.

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٦١٢) عن عكرمة في سبب نزول قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [المائدة: ٨٧].

(٤) أخرجه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٥) أخرجه البخاري (٥٠٥٢)، (٥٠٥٤).

(٦) أخرجه أبو داود (١٣٨٥)، والنسائي في «الكبرى» (٨٠١٣)، وابن ماجه (١٣٤٧). من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٧) أخرجه البخاري (١٩٧٦) (٣٤١٨)، ومسلم (١١٥٩).

فقولُه ﷺ في حديثِ أبي هريرةَ وعائشةَ رضي الله عنهما: «سدِّدوا وقاربوا»، المرادُ بـ«التَّسديدِ»: العمَلُ بالسَّدادِ، وهوَ القَصْدُ والتَّوسُّطُ بالعبادةِ، فلا يقصِّرُ فيما أُمِرَ به، ولا يتحمَّلُ منها ما لا يُطيقُه.

قالَ النَّضْرُ بنُ شُمَيلٍ: السَّدادُ القَصْدُ في الدِّينِ والسَّبيلِ[١].

وكذلكَ المُقارَبةُ المُرادُ بها التَّوسُّطُ بينَ التَّفريطِ والإفراطِ، فهما كلِمتان بمعنىً واحدٍ أوْ متقاربٍ، وهوَ المُرادُ بقولِه في الرِّوايةِ الأخرى: «وعليكمْ هَدْياً قاصِداً».

وقولُه: «وأبشِروا»؛ يعني: أنَّ مَنْ مشى في طاعةِ اللهِ تعالى على التَّسديدِ والمقارَبةِ فليَبْشُرْ، فإنَّه يصِلُ ويسبِقُ الدَّائِبَ المجتهدَ في الأعمالِ، فإنَّ طريقةَ الاقتصادِ والمُقاربةِ أفضلُ مِنْ غيرِها، فمَنْ سلَكَها فليَبْشُرْ بالوصولِ، فإنَّ الاقتصادَ في سُنَّةٍ خيرٌ مِنَ الاجتهادِ في غيرها[٢]، و«خيرَ الهَدْيِ هَدْيُ محمَّدٍ ﷺ»[٣]، فمَنْ سلَكَ طريقَه كانَ أقربَ إلى اللهِ تعالى مِنْ غيرِه.

وليسَتِ الفضائِلُ بكثرةِ الأعمالِ البدَنيَّةِ، لكنْ بكونِها خالصةً للهِ، صواباً على

---

(١) جاء في ضمن قصة من كلام النضر للمأمون، انظر: «مجالس العلماء» للزجاجي (ص: ١٥٢)، و«الجليس الصالح الكافي» للمعافى بن زكريا (ص: ٣٨٦).

(٢) في حاشية (س): «تمام الكلام لعله: في بدعة». وفي حاشية (ع): «لعل الصواب: في بدعة». والأثر أخرجه الإمام أحمد في «الزهد» (٨٧١)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ١٠٣)، ومن طريقه البيهقي في «الكبرى» (٣/ ٣٨٠) موقوفاً على عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، ولفظ الإمام أحمد: الاقتصاد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة. وروي عن غيره أيضاً.

(٣) أخرجه مسلم في «الجمعة» (٨٦٧) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما مرفوعاً.

مُتابعةِ السُّنَّةِ، وبكثرةِ معارفِ القلوبِ وأعمالِها، فمَنْ كانَ باللهِ أعلم[١]، وبدينِه وأحكامِه وشرائعِه، وله أخوفَ وأحبَّ وأرجى، فهوَ أفضلُ مِمَّنْ ليسَ كذلكَ، وإنْ كانَ أكثرَ منه عمَلاً بالجوارحِ.

وإلى هذا المعنى الإشارةُ في حديثِ عائشةَ رضي الله عنها بقول النبي ﷺ: «سدِّدوا وقارِبوا، واعلَموا أنَّه لنْ يُدْخِلَ أحداً منكمْ عملُه الجنَّةَ[٢]، وإنَّ أحبَّ الأعمالِ إلى اللهِ أدومُها وإنْ قلَّ»[٣].

فأمرَ بالاقتصادِ في العملِ، وأنْ يُضمَّ إلى ذلكَ العلمُ بأحَبِّ الأعمالِ إلى اللهِ تعالى، وبأنَّ العمَلَ وحدَه لا يُدخِلُ[٤] الجنَّةَ.

ولهذا قالَ بعضُ السَّلَفِ: ما سبَقَهُمْ أبو بكرٍ بكثرةِ صومٍ ولا صلاةٍ، ولكنْ بشيءٍ وقَرَ في صدرِه[٥].

---

(١) في (س) و(ع): «أعرف».

(٢) في (س) و(ع): «الجنة أحداً منكم عمله».

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) في (س): «يدخله».

(٥) أخرجه الختلي في «المحبة لله» (١٤٢)، والحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (١٢٧) من الأصل الحادي والعشرين مقطوعاً من كلام بكر بن عبد الله المزني، ونسبه ابن تيمية في «منهاج السنة» (٦/ ٢٢٣) (٨/ ٤٩٣)، وابن القيم في «المنار المنيف» (ص: ١١٠)، وابن الجزري في «غاية النهاية» (١/ ٣٢٧) إلى أبي بكر بن عياش وهو شعبة القارئ، قال ابن الجزري: «ينقله من لا معرفة له مرفوعاً عن النبي ﷺ».

وأقدم من ذكره حديثاً مرفوعاً فيما وقفت عليه: أبو بكر الكلاباذي في كتابيه: «التعرف لمذهب أهل التصوف» (ص: ٧٩)، و«بحر الفوائد» (ص: ٤٠، ٢٧٦، ٢٧٩).

وقالَ بعضُهمْ: الَّذي كان في صدْرِ أبي بكرٍ رضي الله عنه المحبَّةُ للهِ[١]، والنَّصيحةُ لعبادِه[٢].

وقالَ طائفةٌ مِنَ العارفينَ: ما بلَغَ من بلَغَ بكثرةِ صيامٍ ولا صلاةٍ، ولكنْ بسَخاوةِ الأنفُسِ، وسلامةِ الصُّدُورِ[٣]، والنَّصيحةِ للأُمَّةِ[٤].

زادَ بعضُهمْ: وبذَمِّ نفوسِهمْ[٥].

وقالَ آخرُ منهمْ: إنَّما تفاوتوا بالإراداتِ، ولمْ يتفاوتوا بكثرةِ الصِّيامِ والصَّلاةِ[٦].

وذُكِرَ لأبي سليمانَ طولُ أعمارِ بني إسرائيلَ، وشدَّةُ اجتهادِهمْ في الأعمالِ، وأنَّ مِنَ النَّاسِ مَنْ غبَطهمْ بذلكَ، فقالَ: إنَّما يُريدُ اللهُ منكمْ صِدْقَ النِّيَّةِ فيما عندَه. أوْ كما قالَ[٧].

---

(١) زاد ناسخ (س) و(ع): «ولرسوله» وليست في سائر النسخ، وليست في مصدر التخريج.

(٢) أخرجه أبو إسحاق الختلي في «المحبة لله» (١٤٤) من كلام ابن علية رحمه الله.

(٣) في (ص) و(ق): «الصدر».

(٤) أخرج أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ١٠٣) من قول الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى: لم يدرك عندنا من أدرك بكثرة صيام ولا صلاة، وإنما أدرك عندنا بسخاء الأنفس، وسلامة الصدور، والنصح للأمة.

(٥) أخرج أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ٢٧٤) من كلام أبي سليمان الداراني رحمه الله تعالى: «لم يبلغ الأبدال ما بلغوا بصوم ولا صلاة ولكن بالسخاء وشجاعة القلوب وسلامة الصدور، وذمهم أنفسَهم عند أنفسِهم».

(٦) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥٨/ ٢٨٥) من كلام المضاء بن عيسى الكلاعي الزاهد رحمه الله تعالى.

(٧) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ٢٦٣).

وجاء في (س) و(ع) بعد هذا مقدَّماً كلام أبي يزيد وما بعده إلى: «وقال بعضهم: ليس الشأن فيمن يقوم الليل...».

وقالَ ابنُ مسعودٍ لأصحابِه: أنتمْ أكثرُ صَوْماً وصلاةً مِنْ أصحابِ محمد ﷺ، وهمْ كانوا خيراً منكمْ[١]، قالوا: وبمَ ذاكَ؟ قالَ: كانوا أزهدَ منكمْ في الدُّنيا، وأرغَبَ في الآخرةِ[٢].

يُشيرُ إلى أنَّ أصحابَ رسولِ اللهِ ﷺ فاقوا على مَنْ بعدَهُمْ بشدَّةِ تعلُّقِ قلوبِهمْ بالآخرة، ورغبَتِهمْ فيها، وإعراضِهمْ عنِ الدُّنيا، وتحقيرها، وتصغيرِها وإنْ كانتْ في أيديهمْ، فكانتْ قلوبُهمْ منها فارغةً، وبالآخرةِ مُمْتلئةً، وهذه الحالُ ورِثوها مِنْ نبيِّهمْ ﷺ، فإنَّه كانَ أشدَّ الخَلْقِ فراغاً بقلبِه مِنَ الدُّنيا، وتعلُّقاً باللهِ وبالدَّارِ الآخرةِ، معَ مُلابستِه للخَلْقِ بظاهرِه، وقيامِه بأعباءِ النُّبوَّةِ وسياسةِ الدِّينِ والدنيا، وكذلكَ خلفاؤُه الرَّاشدون مِنْ بعدِه، وكذلكَ أعيانُ التَّابعينَ لهمْ بإحسانٍ؛ كالحسَنِ وعمرَ بنِ عبدِ العزيزِ، وقدْ كانَ في زمانِهمْ مَنْ هوَ أكثرُ منهمْ صَوْماً وصلاةً، ولكنْ لمْ يصِلْ قلبُه إلى ما وصلَتْ قلوبُ هؤلاء إليه مِنِ ارتحالِها عنِ الدُّنيا وتوطُّنِها للآخرةِ.

فأفضَلُ النَّاسِ مَنْ سلَكَ طريق النَّبيِّ ﷺ وخواصِّ أصحابِه في الاقتصادِ في العِبادةِ البدنيَّةِ، والاجتهادِ في الأحوالِ القلبيَّةِ، فإنَّ سفَرَ الآخرةِ يُقْطَعُ بسَيْرِ القلوبِ لا بسَيْرِ الأبدانِ.

جاءَ رجلٌ إلى بعضِ العارفينَ فقالَ له: قطعتُ إليكَ مسافةً، فقالَ له: ليس هذا الأمرُ بقَطْعِ المسافات، فارِقْ نفْسَكَ بخَطْوةٍ، وقدْ حصَلَ لكَ مقصودك[٣].

---

(١) في (س) و(ع): «أصحاب رسول الله ﷺ وهم خيرٌ منكم».

(٢) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٥٠١)، وابن أبي الدنيا في «الزهد» (١٥٨)، وفي «ذم الدنيا» (٦٨) (١٧٦)، ومن طريقه البيهقي في «شعب الإيمان» (١٠١٥٢).

(٣) في (س) و(ع): «فإذَّاك قد حصل لك مطلوبك». والأثر أورده القشيري في «رسالته» (١/ ٢٢٣) عن شيخه أبي علي الدقاق رحمه الله تعالى، وابن الجوزي في «المدهش» (ص: ١٧٩).

وقالَ أبو يزيدَ: رأيتُ ربَّ العزَّةِ في المنامِ[١]، فقلتُ له: يا ربِّ! كيفَ الطَّريقُ إليكَ؟ قالَ: اترُكْ نفْسَكَ وتعالَ[٢].

ما أُعطِيَتْ أمَّةٌ مِنَ الأُممِ ما أُعطِيَتْ هذه الأُمَّةُ ببركةِ مُتابعةِ نبيِّها ﷺ، حيثُ كانَ أفضلَ الخَلْقِ، وهَدْيُه أكمل الهَدْيِ، معَ ما يسَّرَ اللهُ على يديه[٣] مِنْ دينِه، ووضَعَ به مِنَ الآصارِ والأغلالِ عنْ أُمَّتِه، فمَنْ أطاعَه فقدْ أطاعَ اللهَ، وأحبَّ اللهَ، واهتدى بهُدى اللهِ.

فمِنْ جملةِ ما حَصَلَ لأُمَّتِه ببركتِه بتيسيرِ شريعتِه:

أنَّ مَنْ صلَّى منهمُ العِشاءَ في جماعةٍ فكأنَّما قامَ نصفَ اللَّيلِ، ومَنْ صلَّى الصبح[٤] في جماعةٍ فكأنَّما قامَ اللَّيلَ كلَّه[٥]، فيُكتَبُ له قيامُ ليلةٍ وهوَ نائِمٌ على فِراشِه، لا سيَّما إنْ نامَ على طُهرٍ وذِكْرٍ حتَّى تغلِبَه عيناهُ.

---

(١) قال النووي رحمه الله في «شرح مسلم» (١٥/ ٢٥): «قال القاضي ـ في «إكمال المعلم» (٧/ ٢٢٠) ـ: واتفق العلماء على جواز رؤية الله تعالى في المنام وصحتها، وإن رآه الإنسان على صفة لا تليق بحاله من صفات الأجسام، لأن ذلك المرئي غير ذات الله تعالى، إذ لا يجوز عليه سبحانه وتعالى التجسم ولا اختلاف الأحوال». وينظر كلام ابن تيمية رحمه الله في جواز ذلك في عدد من كتبه، ومنها كلامه في «مجموع الفتاوى» (٢/ ٣٣٦). والمصنف رحمه الله في «اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى» تجنب الكلام في هذه المسألة.

(٢) ذكره القشيري في «رسالته» (١/ ٢٢٣) (١/ ٥٦٢)، والغزالي في «إحياء علوم الدين» (٤/ ٣٧٥)، والشيخ عبد القادر الجيلاني في «فتوح الغيب» (٢/ ١٤٧) ضمن جامع الرسائل لابن تيمية. وعلقه ابن الجوزي في «صفة الصفوة» (٢/ ٣٠٦).

قال ابن تيمية: «أي اترك اتباع هواك والاعتماد على نفسك، فيكون عملك لله واستعانتك بالله كما قال تعالى ﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِ﴾ [هود: ١٢٣]. انظر: «مجموع الفتاوى» (٢/ ٣١٥).

(٣) في (س) و(ع): «هديه». والمثبت من (ج) و(ق) وحاشية (س).

(٤) من (ص)، وفي سائر النسخ: «الفجر».

(٥) أخرج مسلم (٦٥٦): أن النبي ﷺ قال: «من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل، ومن صلى الصبح في جماعة فكأنما صلى الليل كله» من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه.

ومَنْ صامَ منهمْ ثلاثةَ أيَّامٍ مِنْ كلِّ شهرٍ فكأنما صامَ الشَّهرَ كلَّه[١]، فهوَ صائمٌ لبقيَّةِ الشَّهرِ في مُضاعفةِ اللهِ، ومُفْطِرٌ له في رُخصةِ اللهِ، و«الطَّاعِمُ الشَّاكِرُ له أجرُ الصَّائمِ الصَّابرِ»[٢].

ومَنْ نوى أنْ يقومَ مِنَ اللَّيلِ ثم غلَبَتْه عيناه فنامَ، كُتِبَ له ما نوى، وكانَ نومُه عليه صدقةً[٣].

وقالَ أبو الدَّرداءِ: يا حبَّذا نومُ الأكياسِ وفِطْرُهمْ كيف يسبقُ سهَرَ الجاهلينَ وصيامَهم[٤].

ولهذا جاءَ في الحديثِ الصَّحيحِ: «رُبَّ قائِمٍ حَظُّه مِنْ قيامِه السَّهَرُ، وصائمٍ حظُّه مِنْ صيامِه الجوعُ والعَطَشُ»[٥].

---

(١) أخرج البخاري (٣٤١٩)، ومسلم (١١٥٩) من حديث عبد الله بن عمرو: أن النبي ﷺ قال له: «صم من كل شهر ثلاثة أيام، فذلك صوم الدهر». وفي (ص): «فقد صام الشهر كله».

(٢) أخرجه البخاري معلقاً في «الأطعمة» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بعد حديث (٥٤٦٠)، وأخرجه الترمذي (٢٤٨٦) وقال: حسن غريب، وابن ماجه في الصيام (١٧٦٤). وفي (ص): «الشاكر فيهم له».

(٣) أخرج الإمام أحمد (٢٤٣٤١) (٢٥٤٦٤) وغيره من حديث عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ قال: «ما من رجل تكون له ساعة من الليل يقومها فينام عنها، إلا كتب له أجر صلاته، وكان نومه عليه صدقة تصدق به عليه».

(٤) أخرجه الإمام أحمد في «الزهد» (٧٣٨)، وابن أبي الدنيا في «اليقين» (٨)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٢١١)، وأورده المصنف في «لطائف المعارف» في وظيفة شهر ذي القعدة.
وفي (ص): «وصومهم»، وسقطت الجملة الأخيرة من (س) و(ع).

(٥) أخرجه الإمام أحمد (٨٨٥٦)، وابن ماجه في الصيام (١٦٩٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وقالَ بعضُهمْ: كمْ مِنْ مُسْتَغفِرٍ ممقوتٍ، وساكِتٍ مرحومٍ! هذا استغفَرَ وقلبُهُ فاجِرٌ، وهذا سكت وقلبُه ذاكِرٌ[١].

وقالَ بعضُهمْ: ليسَ الشَّأنُ فيمَنْ يقومُ اللَّيلَ، إنَّما الشَّأنُ فيمَنْ ينامُ اللَّيلَ وهو على فراشِه، ثمَّ يُصبِحُ وقدْ سبَقَ الرَّكْبَ[٢].

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في «الزهد والرقائق» (٢٣) من كلام يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله تعالى.

(٢) ذكره المصنف أيضاً في «لطائف المعارف» في وظيفة شهر ذي القعدة، وأورد ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى نحوه في «الوابل الصيب» (ص: ٤٩) فقال: حكي عن رجل من العباد أنه نزل برجل ضيفاً، فقام العابد ليله يصلي، وذلك الرجل مستلق على فراشه، فلما أصبحا قال له العابد: سبقك الركب، أو كما قال، فقال: ليس الشأن فيمن بات مسافراً وأصبح مع الركب، الشأن فيمن بات على فراشه وأصبح قد قطع الركب.

وذكر ابن القيم في «مدارج السالكين» (١/ ٤٣٠) هذا المعنى، وقال: «وهي تسمى (طريق الطير) يسبق النائم فيها على فراشه السعاة، فيصبح وقد قطع الطريق وسبق الركب، بينا هو يحدثك إذا به قد سبق الطرف وفات السعاة.

ثم قال ابن القيم: «وهذا ونحوه له محمل صحيح ومحمل فاسد، فمن حكم على أن الراقد المضطجع على فراشه يسبق القائم القانت فهو باطل، وإنما محمله أن هذا المستلقي على فراشه علق بربه عز وجل، وألصق حبة قلبه بالعرش، وبات قلبه يطوف حول العرش مع الملائكة، قد غاب عن الدنيا ومن فيها، وقد عاقه عن قيام الليل عائق من وجعٍ أو بردٍ يمنعه القيام، أو خوفٍ على نفسه من رؤية عدو يطلبه أو غير ذلك من الأعذار، فهو مستلق على فراشه، وفي قلبه ما الله به عليم، وآخر قائم يصلي ويتلو وفي قلبه من الرياء والعجب وطلب الجاه والمحمدة عند الناس ما الله به عليم، أو قلبه في واد وجسمه في واد.

فلا ريب أن ذلك الراقد يصبح وقد سبق هذا القائم بمراحل كثيرة، فالعمل على القلوب لا على الأبدان، والمعول على الساكن، ويهيج الحب المتواري، ويبعث الطلب الميت».

وفي ذلكَ قِيلَ:

مَنْ لي بمِثْلِ سيرِكَ المُدَلَّلِ تمشي رويداً وتجِي في الأوَّلِ[1]

وقولُه ﷺ: «اغْدُوا وروحوا وشيءٌ مِنَ الدُّلْجَةِ»، كقوله في الرواية الأخرى: «استعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة» يعني: أنَّ هذه الأوقاتَ الثَّلاثةَ تكونُ أوقاتَ السَّيْرِ إلى اللهِ بالطَّاعاتِ، وهيَ آخرُ اللَّيلِ، وأوَّلُ النَّهارِ وآخرُه.

وقدْ ذكَرَ اللهُ سبحانه وتعالى هذه الأوقات في قولِه تعالى: ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ [الإنسان: ٢٥ ـ ٢٦].

وقالَ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾ [طه: ٣٠].

وقالَ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ﴾ [ق: ٣٩ ـ ٤٠].

وذكَرَ اللهُ سبحانَه وتعالى طرَفِي النَّهارِ في مواضعَ كثيرةٍ من كتابِه؛ كقولِه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤١ ـ ٤٢].

وقالَ تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ﴾ [غافر: ٥٥].

وقالَ: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الأنعام: ٥٢].

---

(١) أنشده ابن تيمية وسمعه منه مجد الدين إبراهيم القلانسي رحمهما الله تعالى كما في «الرد الوافر» لابن ناصر الدين الدمشقي (ص: ٨٥)، و«المنهل الصافي» لابن تغري بردي (١/ ٥٣). وذكره ابن القيم في «مدارج السالكين» (٣/ ٩) (٣/ ١٣٨) و«مفتاح دار السعادة» (١/ ٨٢).
والبيت مقتبس من المثل الشائع: «يمشي رويداً ويكون أولا»، يضرب للرجل يدرك حاجته في تؤدة ودعة. انظر: «مجمع الأمثال» للميداني (٢/ ٤٢١).

وقـالَ: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الكهف: ٢٨].

وقالَ في ذكر زكريا عليه السلام: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: ١١].

وقالَ: ﴿وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَـٰرِ﴾ [آل عمران: ٤١].

فهذه الأوقاتُ الثَّلاثةُ منها وقتانِ: وهما أوَّلُ النَّهارِ وآخِرُه، يجتمِعُ في كلٍّ من هذينِ الوقتينِ عمَلانِ: عمَلٌ واجبٌ، وعمَلٌ هو تطوُّعٌ.

فأمَّا العمل الواجبُ، فهوَ صلاةُ الصُّبحِ وصلاةُ العصرِ، وهما أفضلُ الصَّلواتِ الخمسِ، وهما البردانِ اللَّذانِ مَنْ حافظَ عليهما دخَلَ الجنَّةَ[1].

وقدْ قيلَ في كلٍّ منهما: إنَّها هي الصَّلاةُ الوُسْطى[2].

وأمَّا عمل التطوُّعِ، فهوَ ذِكْرُ اللهِ تعالى بعدَ صلاةِ الصُّبحِ حتَّى تطلُعَ الشَّمسُ، وبعدَ صلاةِ العصرِ حتَّى تغرُبَ الشَّمسُ.

وقدْ ورَدَ في فضلِه نصوصٌ كثيرةٌ، وكذلكَ وردتِ النُّصوصُ الكثيرةُ في أذكارِ الصَّباحِ والمساءِ، وفي فضلِ مَنْ ذكَرَ اللهَ تعالى حينَ يُصبِحُ وحينَ يُمسي.

وقـدْ رُوِيَ مِـنْ حديـثِ ابـنِ عمرَ مَرْفوعـاً: «ابـنَ آدمَ! اذكُرْني سـاعةً مِـنْ أوَّلِ

---

(١) أخرج البخاري (٥٧٤)، ومسلم (٦٣٥) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «من صلى البَرْدَين دخل الجنة».

(٢) وقد صنف الحافظ الدمياطي المتوفى سنة (٧٠٥هـ) رحمه الله تعالى: «كشف المغطى في تبيين الصلاة الوسطى» أسند فيه كثيراً من الأحاديث، وأورد الأقوال وبلغ بها سبعة عشر، وانتصر لكونها صلاة العصر، وكذلك قال المصنف ابن رجب رحمه الله تعالى في «فتح الباري» (٤/ ٣٤٠): «ولهذا كانت الصلاة الوسطى هي العصر على الصحيح». وسيأتي هذا بعد قليل.

النَّهارِ، وساعةً مِنْ آخرِه، أغفِر لكَ ما بينَ ذلكَ إلَّا الكبائرَ، أوْ تتوبَ منها»[١].

وكانَ السَّلَفُ الصَّالحُ لآخرِ النَّهارِ أشدَّ تعظيماً مِنْ أوَّلِه.

قالَ ابنُ المباركِ: بلغَنا أنَّه مَنْ ختمَ نهارَه بذِكْرِ اللهِ كُتِبَ نهارُه كلُّه ذِكْراً[٢].

وقالَ أبو الجَلْدِ: بلغَنا أنَّ اللهَ يَجْنَحُ كل[٣] مساءِ يومٍ إلى السَّماءِ الدُّنيا ينظُرُ إلى أعمالِ بني آدمَ[٤].

ورأى بعضُ السَّلَفِ أبا جعفرٍ القاريَّ في المنامِ، فقالَ له: قلْ لأبي حازمٍ ـ يعني: الأعرجَ الزَّاهِدَ ـ الكَيْس، الكَيْس، فإنَّ اللهَ وملائكتَه يتراءونَ مجلسَكَ بالعَشيَّاتِ[٥].

---

(١) أخرجه ابن شاذان في «مشيخته الصغرى» (١٥) من حديث ابن عمر رضي الله عنهم مرفوعاً.
وله شاهد أخرجه الإمام أحمد في «الزهد» (٢٠٣)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ٢١٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً، ولفظه: «ابن آدم! اذكرني بعد الفجر وبعد العصر ساعة أكفك ما بينهما».

(٢) وأورده المصنف رحمه الله في «لطائف المعارف» في المجلس الأول، ولم أجد مصدره.

(٣) المثبت من (ص)، وفي (ق) و(ج) بياض. وكتب ناسخ (س) و(ع): «ينزل مساءَ كل يوم»! اجتهادًا منه.

(٤) أخرجه عبد الله بن أحمد في «السنة» (٥١٩) عن أبي الجَلْد قال: إن الله عز وجل يجنح كل عشية إلى السماء الدنيا العصر ينظر إلى أعمال بني آدم. وتصحف في المطبوع من «السنة» إلى: «عن أبي الخلد» بالخاء، فجهله ناشر الكتاب!.
وأبو الجَلْد هو جيلان بن فروة البصري الجَوْني ـ من الأسماء المفردة ـ روى عنه قتادة وأبو عمران الجوني، وثقه الإمام أحمد بن حنبل.
وذكر ابن أبي حاتم أنه صاحب كتب التوراة ونحوها، وكذلك ذكر ابن حبان أنه ممن كان يقرأ كتب الأوائل. انظر: «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (٢/ ٥٤٧)، و«مشاهير علماء الأمصار» لابن حبان (ص: ١٥٠). فهذا أثر إسرائيلي، يجري فيه ما يذكره علماء أهل السنة في حديث النزول.

(٥) أخرجه يعقوب بن سفيان في «المعرفة والتاريخ» (١/ ٦٧٦)، وابن أبي الدنيا في «المنامات» =

والظَّاهرُ أنَّ أبا حازمٍ كانَ يقُصُّ على النَّاسِ آخرَ النَّهارِ.

وقدْ جاءَ في حديثٍ: أنَّ الذِّكْرَ بعدَ الصُّبحِ أحبُّ مِنْ أربعِ رقابٍ، وبعدَ العصرِ أحبُّ مِنْ ثماني رقابٍ»[1].

وأيضاً فيومُ الجمعةِ آخرُه أفضلُ مِنْ أوَّلِه؛ لِمَا يُرجى في آخرِه مِنْ ساعةِ الإجابةِ.

ويومُ عرفةَ آخرُه أفضلُ مِنْ أوَّلِه؛ لأنَّه وقتُ الوقوفِ.

وكذلكَ آخرُ اللَّيلِ أفضَلُ مِنْ أوَّلِه، كذلك قالَه السَّلَفُ، واستدلُّوا بحديثِ النُّزولِ الإلهيِّ، وهذا كلُّه يُرجِّحُ[2] به قولُ مَنْ قالَ: إنَّ صلاةَ العصرِ هيَ الوُسْطى.

وأمَّا الوقتُ الثَّالثُ، فهوَ الدُّلْجَةُ.

والإِدْلاجُ: سَيْرُ آخرِ اللَّيلِ، والمرادُ به هاهنا: العملُ في آخرِ اللَّيلِ، وهوَ وقتُ الاستغفارِ؛ كما قالَ تعالى: ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران: ١٧]، وقالَ: ﴿وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات: ١٨]، وهوَ آخِرُ أوقاتِ النُّزولِ الإلهيِّ المتضمِّنِ لاستعراضِ الحوائجِ، أيْ: حوائجِ السَّائلينَ، واستغفارِ المذنبينَ، وتوبةِ التَّائبينَ.

وسطُ اللَّيلِ للمُحبِّينَ للخَلْوةِ بحبيبِهمْ، وآخِرُ اللَّيلِ للمُذْنبينَ يستغفرون مِنْ ذنوبهم.

مَنْ عَجَزَ عنْ مُشاركةِ المُحبِّينَ في الجَرْيِ معهمْ في ذلكَ المِضمارِ، فلا أقلَّ مِنْ مُشاركةِ المُذنبينَ في الاعتذارِ.

= (٣٢١)، ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦٥/ ٣٦١).

(١) هذا المعنى مدرج من عدد من الروايات من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعاً، فشطره الأول يوجد عند أبي داود (٣٦٥٩)، وشطره الثاني في «مسند أحمد» (١٣٧٦٠). وفيه كلام.

(٢) في (س): «مما يرجح».

وردَ في بعضِ الآثارِ أنَّ العرشَ يهتزُّ مِنَ السَّحَرِ[١].

قالَ طاوسٌ: ما كنتُ أظنُّ أنَّ أحداً ينامُ في السَّحَرِ[٢].

وفي الحديثِ الَّذي خرَّجه التِّرمِذِيُّ: «مَنْ خافَ أدْلجَ، ومَنْ أدْلَجَ بلَغَ المنزِلَ»[٣].

سيرُ الدُّلْجةِ آخِرَ اللَّيلِ يُقْطَعُ به سفرُ الدُّنيا والآخرةِ.

ولِهذا في الحديثِ الَّذي خرَّجَهُ مسلمٌ: «إذا سافرْتُمْ فعليكمْ بالدُّلْجَةِ، فإنَّ الأرضَ تُطْوى باللَّيلِ»[٤].

قالَ بعضُ الفُضلاءِ:

اصبِرْ على مضَضِ الإدْلاجِ في السَّحَرِ[٥] ... وفي الرَّواحِ على الطَّاعاتِ والبُكُرِ

لا تضجَرَنَّ ولا يعْجِزْكَ مَطْلَبُها ... فالهمُّ يتلَفُ بينَ اليأسِ والضَّجَرِ

إنِّي رأيتُ وفي الأيَّامِ تجرِبةٌ ... للصَّبرِ عاقبةً محمودةَ الأثَرِ

---

(١) أخرج ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٥٣٩٢)، والإمام أحمد في «الزهد» (٣٦٥)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ٢٠٣) من كلام سعيد الجريري: أن داود عليه السلام سأل جبريل، فقال: يا جبريل! أي الليل أفضل؟ قال: يا داود! ما أدري، إلا أن العرش يهتز من السحر.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في «الزهد» (٢٢٠٠)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ٥): أن طاوساً أتى رجلاً في السحر، فقالوا: هو نائم، قال: ما كنت أرى أحدا ينام في السحر.

(٣) أخرجه الترمذي (٢٤٥٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وتتمته: «ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة».

(٤) لم يخرجه مسلم في «صحيحه»، وإنما أخرجه أبو داود (٢٥٦٤) من حديث أنس رضي الله عنه، وقد عزاه المصنف إلى أبي داود في «فتح الباري» (١/ ١٥٢)، ولكن ذكر ابن أبي حاتم مسلماً في قصة ذكرها في «العلل» (٥/ ٦٨٥).

(٥) في (س) و(ع): «بالسحر».

وقَـلَّ مَـنْ جـدَّ فـي أمـرٍ تَـطَـلَّـبَـه[١] واستصحَبَ الصَّبْـرَ إلَّا فـازَ بالظَّفَـرِ[٢]

وقدْ رُوِيَ: أنَّ الأشترَ دخَلَ على عليِّ بنِ أبي طالبٍ رضي الله عنه بعدَ هَدْأَةٍ مِنَ اللَّيلِ وهوَ قائمٌ يُصلِّي، فقالَ: يا أميرَ المؤمنينَ! صومٌ بالنَّهارِ، وسهَرٌ باللَّيلِ، وتعَبٌ فيما بينَ ذلكَ، فلمَّا فرَغَ مِنْ صلاتِه أنشد هذه الأبيات[٣].

سفَرُ الآخرةِ طويلٌ يُحتاجُ[٤] إلى قَطْعِه بسَيْرِ اللَّيلِ، وهوَ الإِدْلاجُ.

كانـتِ امـرأةُ حبيـبٍ أبـي محمَّـدٍ الفارسـيِّ[٥] توقِظُـه باللَّيـلِ، وتقـولُ: قُـمْ يـا حبيبُ! فـإنَّ الطَّريقَ بعيـدٌ، وزادَنا قليـلٌ، وقوافِـلُ الصَّالحينَ قدْ سـارَتْ مِنْ بينِ أيدينـا ونحنُ قـدْ بقِينا[٦].

---

(١) في (س) و(ع): «يؤمله».

(٢) الأبيات تنسب إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه من وجوه متعددة كما في «شعب الإيمان» للبيهقي (٩٦٢٠)، و«الفرج بعد الشدة» للتنوخي (٥/ ٦١)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤٢/ ٥٢٩)، وهي في المطبوع من «ديوانه»، وأنشده محمد بن بَشِير مولى الأزد لنفسه في «الفرج بعد الشدة» للتنوخي (٥/ ٦٠)، وجاء في «الشعر والشعراء» لابن قتيبة (٢/ ٨٦٨) منسوباً إلى محمد بن يسير من أسد مولى لهم وكان في عصر أبي نواس، وعمِّر بعده حيناً، وقد يتمثل بكثير من شعره. ومحمد بن بشير ومحمد بن يسير بينهما فرق في الزمان! فليتتبع المسألة من يهمه تحرير المشتبه من المتفق والمفترق في أسمائهم، والله الموفق.

(٣) «أنشد هذه الأبيات»: سقطت الجملة من (س) و(ع). وجاء بدلها: «قال»، فجعل المقول بعدها من كلام علي رضي الله عنه! وإنما أنشد الأبيات، والقصة أخرجها التنوخي في «الفرج والشدة» (٥/ ٦١). وهنا ينتهي ما لدينا عن مصورة النسخة (ق).

(٤) في (س): «فيحتاج».

(٥) «الفارسي»: من (س).

(٦) ذكر القصة ابن الجوزي في «المنتظم» (٧/ ١٩٧).

يـا نائِـمَ اللَّيـلِ كـمْ تَـرْقُـدُ ... قُمْ يـا حبيبـي قـدْ دنـا الموعِـدُ

وخُـذْ مِـنَ اللَّيـلِ وأوقاتِـه ... وِرْداً إذا مـا هجَـعَ الرُّقَّـدُ

مَنْ نامَ حتَّى ينقضي ليلُه ... لـمْ يبلُغِ المنزلَ أوْ[1] يجهَدُ[2]

وقولُه ﷺ: «والقَصْدَ القَصْدَ تبلُغوا» حثٌّ على الاقتصادِ في العبادةِ، والتَّوسُّطِ فيها بينَ الغُلُوِّ والتَّقصيرِ، ولذا قد كرَّرَه مرَّةً بعدَ مرَّةٍ.

وفي «مسندِ البَزَّارِ» مِنْ حديثِ حذيفةَ رضي الله عنه مرفوعاً: «ما أحسَنَ القَصْدَ في الفَقْرِ! وما أحسَنَ القَصْدَ في الغِنى! وما أحسَنَ القَصْدَ في العبادةِ!»[3].

وكانَ لمُطَرِّفِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ الشِّخِّيرِ ابنٌ قدِ اجتهَدَ في العبادةِ، فقالَ له أبوه: خيرُ الأمورِ أوسَطُها، الحسَنةُ بينَ السَّيِّئَتَين، وشرُّ السَّيْرِ الحَقْحَقَةُ[4].

قالَ أبو عبيدٍ: يعني: أنَّ الغُلُوَّ في العبادةِ سيِّئةٌ، والتَّقصيرَ سيِّئةٌ، والاقتصادُ بينهما حسَنةٌ.

---

(١) في (ع): «لو».

(٢) ذكر الأبيات ابن الجوزي في «المدهش» (ص: ٥٣٢) من غير نسبة، وذكرها المصنف في المجلس الأول من «لطائف المعارف».

وأورد ابن حبيب النيسابوري في «عقلاء المجانين» (ص: ٦١) قصة لمالك بن دينار عند الكعبة نام فأيقظه سعدون بذكر البيتين الأولين، إلا أن شطر البيت الثاني: فازدد إذا ما سجد السجد.

(٣) أخرجه البزار في «المسند» (٢٩٤٦).

(٤) أخرجه أبو عبيد في «غريب الحديث» (٢/ ٢٨) (٤/ ٣٨٨)، ومن طريقه البيهقي في «شعب الإيمان» (٣٦٠٥).

قالَ: والحَقْحَقَةُ: أنْ يُلِحَّ في شدَّةِ السَّيرِ حتَّى تقومَ عليه راحلتُه وتَعْطِبَ، فيبقى مُنْقَطعاً به. انتهى[١].

ويشهَدُ لهذا المعنى الحديثُ المرويُّ عنْ عبدِ اللهِ بنِ عمرو مرفوعاً: «إنَّ هذا الدِّينَ مَتينٌ، فأوغِلْ فيه برِفْقٍ، ولا تُبَغِّضْ إلى نفْسِكَ عبادةَ اللهِ تعالى، فإنَّ المُنْبَتَّ لا سَفَراً قطَعَ، ولا ظَهْراً أبقى، فاعمَلْ عمَلَ امرئٍ يظنُّ أنَّه لنْ يموتَ إلَّا هرِماً، واحذَرْ حذَرَ امرئٍ يخشى[٢] أنْ يموتَ غداً». خرَّجه حميدُ بنُ زَنْجُوْيَه وغيرُه[٣].

وفي تكريرِ أمرِه بالقَصْدِ إشارةٌ إلى[٤] المُداومةِ عليه، فإنَّ شدَّةَ السَّيْرِ والاجتهادِ مظنَّةُ السَّآمةِ والانقطاعِ، والقَصْدُ أقربُ إلى الدَّوامِ، ولهذا جَعَلَ عاقِبةَ القَصْدِ البُلوغَ؛ كما قالَ: «مَنْ أدْلَجَ بلَغَ المنزلَ».

فالمؤمنُ في الدُّنيا يسيرُ إلى الله حتَّى يبلُغَ إليه؛ كما قالَ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ﴾ [الانشقاق: ٦]، وقالَ تعالى: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩].

قالَ الحسنُ: يا قومُ! المُداومةَ المُداومةَ، فإنَّ اللهَ لمْ يجعَلْ لعملِ المؤمنِ أجَلاً دونَ الموتِ، ثمَّ تلا هذه الآيةَ[٥].

---

(١) هذا كلام الأصمعي، نقله عنه أبو عبيد القاسم بن سلام في «غريب الحديث» (٤/ ٣٨٨). وزاد ناسخ (س) و(ع) في آخره: «سفره».

(٢) في (س) و(ع): «يحذر».

(٣) أخرجه بهذا اللفظ، لكن موقوفاً: ابن المبارك في «الزهد» (١٣٣٤)، وأخرجه مرفوعاً بنحوه: البيهقي في «الكبرى» (٤٨٠٧)، وفي «شعب الإيمان» (٣٦٠٣)، وكتاب ابن زنجويه مفقود.

(٤) في (س) و(ع): «على».

(٥) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (١٨) ومن طريقه ابن المقرئ في «معجمه» (٧٢٠)، وبنحوه الإمام أحمد في «الزهد» (١٥٤٨).

وقالَ أيضاً: نفوسُكمْ مطاياكمْ، فأصلِحوا مطاياكمْ تُبَلِّغكُمْ إلى ربِّكمْ عزَّ وجلَّ[١].

والمُرادُ بإصلاحِ المَطايا: الرِّفقُ بها، وتعاهُدُها بما يُصْلِحُها مِنْ قُوْتِها، والرِّفْقِ بها في سَيْرِها، فإذا أحسَّ منها بتوقُّفٍ في السَّيْرِ تعاهدَها تارةً بالتَّشْويقِ، وتارةً بالتَّخويفِ حتَّى تسيرَ.

قالَ بعضُ السَّلفِ: الرَّجاءُ قائدٌ، والخوفُ سائقٌ، والنَّفْسُ بينهما كالدَّابَّةِ الحَرونِ، فإذا[٢] فتَرَ قائدُها وقصَّرَ سائقُها وقَفَتْ[٣].

فتحتاجُ إلى الرِّفْقِ بها والحَدْوِ لها؛ حتَّى يطيبَ لها السَّيْرُ؛كما قالَ حادي الإبلِ بالبَوادي:

بشَّرَها دليلُها وقالَا: غداً ترينَ الطَّلْحَ والجِبالا[٤]

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ٢٢٠)، ولفظه: الدنيا مطية المؤمن إلى ربه، عليها يرتحل المؤمن إلى ربه، فأصلحوا مطاياكم تبلغكم إلى ربكم.

(٢) في (ج): «فمتى».

(٣) أخرجه ابن بطة في «الإبانة» (١٠٤٨) من كلام وهب بن منبه، وتتمته: إن فتر قائدها صدت عن الطريق فلم تستقم لسائقها، وإن فتر سائقها لم تتبع قائدها، فإذا اجتمعا استقامت طوعاً وكرهاً.
وله ألفاظ أخرى عن وهب، وروي أيضاً عن غير وهب. انظر: «حلية الأولياء» لأبي نعيم (٤/ ٣١) (٣/ ٣٥٤).

(٤) أورده أبو عبيدة معمر بن المثنى في «مجاز القرآن» (٢/ ٢٥٠)، وعنه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٣٠٩) من غير نسبة، ونسبه القرطبي في «تفسيره» (١٧/ ٢٠٨) إلى الجعدي، ولم أعثر عليه في ديوانه المطبوع.
والجبال: بالجيم جمع جبل كما في نسخنا وفي مخطوطة «مجاز القرآن». وفي الطبري: الحبال: جمع حبل وهو الرمل المرتفع.
وقد يكون صواب الرجز: «غداً ترين الطلح والأحبالا» كما أورده القرطبي، والأحبال جمع حُبلة: ثمر السلم والعضاه. وفي حاشية (س): «من الرجز، محذوف منه سبب خفيف».

ولمَّا كانَ الخوفُ كالسَّوْطِ، فمتى ألحَّ بالضَّرْبِ بالسَّوْطِ على الدَّابَّةِ تلِفَتْ، فلا بُدَّ لها معَ الضَّرْبِ مِنْ حادي الرَّجاءِ، يَطيبُ لها السَّيرُ بحُدائِه حتَّى تَقْطَعَ.

قالَ أبو يزيدَ: ما زلتُ أسوق[١] نفْسي إلى اللهِ وهيَ تبكي، حتَّى سُقْتُها إلى الله وهيَ تضحَكُ[٢].

كما قيلَ:

إذا شكَتْ مِنْ كَلالِ السَّيْرِ أُوعِدُها ... رَوْحَ القُدومِ فتَحْيا عندَ ميعادِ[٣]

قالَ خليد العصريُّ: إنَّ كُلَّ حبيبٍ يجب أن يلقى حبيبَه، فأحبُّوا ربَّكمْ، وسيروا إليه سَيْراً جميلًا، لا مصعداً ولا مميلاً[٤].

فغايةُ السَّيْرِ تَوَصُّلُ المؤمنِ إلى ربِّه، ومَنْ لا يعرِفُ الطَّريقَ إلى ربه ثم[٥] يسلُكُ إليه فيه، فهوَ والبَهيمةُ سواءٌ.

قالَ ذو النُّونِ: السَّفِلَةُ مَنْ لا يعرِفُ الطَّريقَ إلى اللهِ ولا يتعرَّفُه[٦].

---

(١) في (س) و(ع): «أقود».

(٢) ذكره ابن الجوزي في «صيد الخاطر» (ص: ١١٤).

(٣) ذكره في أبيات ابن قيم الجوزية في عدد من كتبه: «الجواب الكافي» (ص: ٤٦٠)، و«زاد المعاد» (٢/ ٣٣) و«مفتاح دار السعادة» (١/ ١٨٥)، و«روضة المحبين» (ص: ١٦٥) من دون نسبة.
وهي لإدريس بن أبي حفصة من قصيدة له في إسحاق بن إبراهيم المصعبي، كما أفاده د. أجمل أيوب الإصلاحي في تعليقه على «الداء والدواء».

(٤) أخرجه الإمام أحمد في «الزهد» (١٣١٤)، ومن طريقه: الختلي في «المحبة لله» (١٨٨) وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٢٣٢)، والختلي في «المحبة لله» (١٣٠) من وجه آخر وليس عندهم قوله: «لا مصعداً ولا مميلاً».

(٥) في (س) و(ع): «الطريق إلى الله، ولا يسلك».

(٦) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ٣٧٢).

والطَّريقُ إلى اللهِ هوَ سلوكُ صراطِه المستقيمِ الَّذي بَعَثَ الله به رسولَه ﷺ، وأنزَلَ به كتابَه[١]، وأمَرَ الخَلْقَ كلَّهمْ بسلوكِه والسَّيْرِ فيه.

قالَ ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: الصِّراطُ المستقيمُ: تركَنا محمَّدٌ ﷺ في أدناهُ، وطرَفُه الجنَّةُ، وعنْ يمينِه جوادُّ، وعنْ يسارِه جوادُّ، وثَمَّ رجالٌ يَدْعون مَنْ مرَّ بهمْ، فمَنْ أَخَذَ في تلكَ الجوادِّ انتهَتْ به إلى النَّارِ، ومَنْ أَخَذَ على الصِّراطِ المستقيم انتهى بـه إلى الجنَّةِ. ثمَّ قرأَ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ﴾ [الأنعام: ١٥٣]. خرَّجَه ابنُ جريرٍ وغيرُه[٢].

فالطَّريقُ الموصِلُ إلى اللهِ واحدٌ، وهوَ صراطُه المستقيمُ، وبقيَّةُ السُّبُلِ كلِّها سبُلُ الشَّيطانِ، مَنْ سلَكَها قطَعَتْ به عنِ اللهِ عز وجل، وأوصَلَتْه إلى دارِ سُخْطِه وغضَبِه وعقابه، فربَّما سلَكَ الإنسانُ في أوَّلِ أمرِه على الصَّراطِ المستقيمِ، ثمَّ ينحرِفُ في آخرِ عمُرِه، فيسلُكُ بعضَ سبُلِ الشَّيطانِ، فينقطِعُ عنِ اللهِ ويهلكُ، «إنَّ أحدَكمْ ليعمَلُ بعمَلِ أهلِ الجنَّةِ حتَّى ما[٣] يكونَ بينه وبينها إلَّا ذِراعٌ أوْ باعٌ، فيعمَلُ بعمَلِ[٤] أهلِ النَّارِ فيدخل النار[٥]»[٦].

---

(١) في (ج): «بعث الله به رسله، وأنزل به كتبه».

(٢) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٨٨٢)، والطبري في «تفسيره» (٩/ ٦٧١)، وابن وضاح في «البدع» (ص: ٣٩) من طبعة شيخنا محمد أحمد دهمان رحمه الله تعالى.

(٣) في (ج): «لا». وكلاهما في الصحيح.

(٤) في (ع): «عمل».

(٥) في (ع): «فيدخلها»، وكلاهما في الصحيح.

(٦) أخرجه البخاري (٧٤٥٤)، ومسلم (٢٦٤٣) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه. وليس في «الصحيحين»: «أو باع».

وربَّما سلَكَ الرَّجلُ أوَّلاً بعضَ سبُلِ الشَّيطانِ، ثم تُدْرِكُه السَّعادةُ، فيسلُكُ الصِّراطَ المستقيمَ في آخرِ عمُرِه، فيصِلُ به إلى اللهِ.

والشَّأنُ كلُّ الشَّأنِ في الاستقامةِ على الصِّراطِ المستقيمِ مِنْ أوَّلِ السَّيْرِ إلى آخره، ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ [المائدة: ٥٤]، ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [يونس: ٢٥].

ما أكثرَ مَنْ يرجِعُ مِنْ أثناءِ الطَّريقِ أوْ ينقطِعُ، فـ«إنَّ القلوبَ بينَ إصبعينِ [مِنْ أصابعِ الرَّحمنِ]»[(١)]، ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

خليلَيَّ قُطَّاعُ الفَيافي إلى الحِمَى كثيرٌ وأمَّا الواصلونَ قليلُ[(٢)]

في الحديثِ الصَّحيحِ الإلهيِّ: «يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ: مَنْ تقرَّبَ منِّي شِبْراً تقرَّبْتُ منه ذِراعاً، ومَنْ تقرَّبَ منِّي ذِراعاً تقرَّبْتُ منه باعاً، ومَنْ أتاني يمشي أتيتُه هَرْولةً»[(٣)].

وفي «المسندِ» زيادةٌ: «واللهُ أعلى وأجلُّ، واللهُ أعلى وأجلُّ، واللهُ أعلى وأجلُّ»[(٤)].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٥٤) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه. وما بين معقوفين ليس في (ص) و(ج).

(٢) ذكر البيت المستعصمي في «الدر الفريد» (٦/ ١٧٧) من غير نسبة. وفي (ص): «ولكن الواصلون» وجاء في (س) و(ع): «خليلي قطاع الطريق إليكما»!!

(٣) أخرجه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥).
والبخاري (٧٥٣٦) من حديث أنس رضي الله عنه.
ومسلم (٢٦٨٧) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

(٤) أخرجه الإمام أحمد (٢١٣٧٤) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

وفيهِ أيضاً: «يقولُ اللهُ تعالى: يا ابنَ آدمَ! قُمْ إليَّ أمشِ إليكَ، وامشِ إليَّ أُهَروِلْ إليكَ»[١].

مَنْ أقبَلَ إلينا تلقَّيْناهُ مِنْ بعيدٍ، ومَنْ أرادَ مُرادَنا أردْنا ما يريدُ، ومَنْ سألَنا أعطيناهُ فوقَ المزيدِ، ومَنْ عمِلَ بقُوَّتِنا ألنَّا له الحديدَ[٢].

يا هذا! لوْ أنك قصدتَ بابَ والي الشُّرَطَةِ لَمَا أقبَلَ إليكَ ولا تلقَّاكَ، وربَّما حجَبَكَ عنِ الوصولِ إليه وأقصاكَ، ومِلكُ الملوكِ يقولُ: «مَنْ أتاني يمشي أتيتُه أهرول»[٣]، وأنتَ عنه مُعْرِضٌ، وعلى غيرِه مُقْبِلٌ، لقدْ غبنت أفحش الغبن وخسِرْتَ أكبرَ الخُسْرانِ!

واللهِ مـــا جئتُكـــمْ زائـــراً ... إلَّا وجـدتُّ الأرضَ تُطـوى لي

ولا ثنيـتُ العَـزْمَ عـنْ بابِكـمْ ... إلَّا تـعـثَّـــرْتُ بـأذْيـــالي[٤]

يا معشرَ المُريدين! قدْ وضحَ الطَّريقُ، فما هذا التأخُّرُ عنِ السُّلوكِ والتَّعويقُ؟!

لقدْ وضَحَ الطَّريقُ إليكَ قصداً[٥] ... فـمـــا خَـلْـــقٌ أرادكَ يستدِلُّ[٦]

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (١٥٩٢٥) عن رجل من أصحاب النبي ﷺ.

(٢) روى ابن تيمية رحمه الله أن محيي الدين بن النحاس رأى الشيخ عبد القادر الجيلاني رحمه الله في منامه وهو يقول إخباراً عن الحق تعالى:.. فذكر نحوه. انظر: «مجموع الفتاوى» (١٠/ ٥٤٩). واقتبسه ابن القيم رحمه الله تعالى في عدد من كتبه.

(٣) في (س) و(ع): «هرولة».

(٤) البيتان للمرتضى عبد الله ابن الشهرزوري الموصلي، كما في «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٣/ ٥٢)، و«بغية الطلب» لابن العديم (١٠/ ٤٤٩١)، و«سير أعلام النبلاء» للذهبي (٢١/ ٥٨). وأوردهما ابن القيم في عدد من كتبه دون ذكر قائلهما.
ونسبهما المستعصمي في «الدر الفريد» (١١/ ٢٨٨) إلى كثير عزة!

(٥) في (ج) و(س) و(ع): «حقاً».

(٦) البيت لإبراهيم الخواص رحمه الله تعالى، كما في «التعرف لمذهب أهل التصوف» للكلاباذي (ص: ١٥٧)، والخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٦/ ٤٩٣)، و«التدوين في أخبار قزوين» للرافعي (٢/ ٩٩)، و«مشيخة قاضي المارستان» (٢٧١).

﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ [إبراهيم: ١٠].

﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ﴾ [الأحقاف: ٣١].

يـــا نفْسُ ويحَـــكِ قدْ أتـــاكِ هُداكِ أجـــيبي فداعـــي اللهِ قدْ نـــاداكِ[١]

كـمْ قـدْ دُعِيتِ إلـى الرَّشـادِ فتُعْرِضي وأجـبْـتِ داعـي الغِيِّ حيـنَ دعاكِ[٢]

* * *

الوصولُ إلى اللهِ نوعانِ:

أحدُهما: في الدُّنيا.

والثَّاني: في الآخرةِ.

فأمَّا الوصولُ الدُّنيويُّ، فالمـرادُ به: أنَّ القلوبَ تصِلُ إلى معرفة علَّام الغيوب، فإذا عرَفَتْه أحبَّتْه، وأنِسَتْ به، فوجدَتْه منها قريباً، ولِدُعائِها مُجيباً؛ كما في بعضِ الآثارِ: «ابنَ آدمَ! اطلُبْني تجِدْني، فإنْ وجدتني وجدتَ كلَّ شيءٍ، وإنْ فُتَّكَ فاتَكَ كلُّ شيءٍ»[٣].

قـد بـرَزَ المرسـومُ منَّـا إنَّـا لا نـخـيِّـبُ ظنّـا

فـاطلـبونا تـجـدونـا فـي قلـوبٍ تـسـعـنا

صـابـراتٍ شـاكرات راضيـات بمـا نقضيـه عنَّا[٤]

---

(١) في (ج): «فهذا داعي الله ناداك».

(٢) ذكر المصنف رحمه الله هذين البيتين في «لطائف المعارف» ـ المجلس الثالث من وظائف ذي الحجة ـ، وفي «شرح حديث لبيك اللهم لبيك». فكأنهما له.

(٣) هذا أثر إسرائيلي، ذكره ابن تيمية في «الفتاوى» (٨/ ٥٢)، وابن قيم الجوزية في مواضع كثيرة من كتبه، وذكره ابن كثير في تفسيره (٤/ ٤٢) (٧/ ٤٢٦) وعزاه إلى بعض الكتب الإلهية.

(٤) سقطت هذه الأبيات الثلاثة من (س) و(ع). ولم أجدها عند غير المصنف. وفي (ج): «قد برز»، «لا نخيب قط ظنا»، «قلوب قد تسعنا»، «صابرات راضيات»، «بالذي يصدر عنا».

كانَ ذو النُّونِ يخرُجُ باللَّيلِ، فيُرَدِّدُ نظَرَه في السَّماءِ، ويُرَدِّدُ هذه الأبيات حتَّى يُصبِحَ، وهي هذهِ:

اطلُبوا لأنفُسِكُمْ ... مثلَ ما وجدتُ أنا
قدْ وجدتُ لي سكَناً ... ليسَ في هواهُ عنَا
إنْ بعُدتُ قرَّبَني ... أوْ قَرُبْتُ منه دنا[1]

وأمَّا الوصولُ الأُخرويُّ، فالدُّخولُ إلى الجنَّةِ الَّتي هيَ دارُ كرامة الله[2] تعالى لأوليائِه، ولكنَّهمْ في درجاتِها مُتفاوتونَ في القُرْبِ بحسَبِ تفاوُتِ قلوبِهمْ في الدُّنيا في القُرْبِ والمشاهدةِ.

قالَ تعالى: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ۝٧ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۝٨ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ۝٩ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [الواقعة: ٧ ـ ١١].

كانَ الشِّبْلِيُّ يهيجُ في دارِه ويُنشِدُ يقولُ:

على بُعْدِكَ لا يصبـ ... ـر مَنْ عادَتُه القُرْبُ
ولا يقوى على حَجْبِـ ... ـكَ مَنْ تيَّمَه الحُبُّ
فإنْ لمْ ترَكَ العينُ ... فقد يبصرُك القلبُ[3]

---

(١) الأبيات رواها ضمن قصة: أبو نُعيم في «الحلية» (٩/ ٣٤٤)، ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٧/ ٤٣٦).

(٢) في (س) و(ع): «كرامته».

(٣) أخرجه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (١٦/ ٥٦٣)، ومن طريقه ابن الجوزي في «المنتظم» (١٤/ ٥١) وأخرجه السراج القارئ في «مصارع العشاق» (١/ ١٧٢).
وفي (س) و(ع): «على بعدكم لا صبر على من»، «أبصرك القلب».

الصِّراطُ المستقيمُ في الدُّنيا يشتملُ على ثلاثِ درجاتٍ:

درَجةِ الإسلامِ، ودرَجةِ الإيمانِ، ودرَجةِ الإحسانِ.

فمَنْ سلَكَ على درَجةِ الإسلامِ إلى أنْ يموتَ عليها منَعَتْه مِنَ الخُلودِ في النَّارِ، ولمْ يكنْ له بُدٌّ مِنْ دخولِ الجنَّةِ، وإنْ أصابَه قَبْلَ ذلكَ ما أصابَه.

ومَنْ سلَكَ على درَجةِ الإيمانِ إلى أنْ يموتَ عليها منَعَه الإيمان مِنْ دخولِ النَّارِ بالكُلِّيَّةِ، فإنَّ نورَ الإيمانِ يُطفِئُ لهَبَ نار جهنَّمَ، حتَّى تقولَ: «يا مؤمنُ جُزْ، فقدْ أطفَأَ نورُكَ لَهَبي»[١].

وفي «المسندِ» عن جابرٍ مرفوعاً: «لا يبقى بَرٌّ ولا فاجرٌ إلَّا دخَلَها، فتكونُ على المؤمنِ بَرْداً وسلاماً، كما كانتْ على إبراهيمَ بَرْداً وسلاماً، حتَّى أنَّ للنَّارِ ضَجيجاً مِنْ بَرْدِهم»[٢].

هذا ميراثٌ ورِثَه المحبُّونَ مِنْ حالِ أبيهمْ إبراهيمَ عليه السلام:

ففي فؤادِ المُحبِّ نارُ هوىً أحرُّ نارِ الجحيمِ أبرَدُها[٣]

ومَنْ سلَكَ على درجةِ الإحسانِ إلى أنْ يموتَ عليها، وصَلَ بعدَ الموتِ إلى اللهِ.

﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦].

---

(١) أخرجه من حديث يعلى بن مُنية رضي الله عنه: الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٢) (٦٦٨)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣٦٩) وقال: منكر.

قال المصنف رحمه الله في الباب السابع والعشرين من «التخويف من النار»: «غريب وفيه نكارة».

(٢) أخرجه الإمام أحمد (١٤٥٢٠).

(٣) البيت للمتنبي، وهو في «ديوانه» (ص: ٨). وفي (س) (ع): «جوى».

في الحديثِ الصَّحيحِ: «إذا دخَلَ أهلُ الجنَّةِ الجنَّةَ نادى مُنادٍ: يا أهلَ الجنَّةِ! إنَّ لكمْ عندَ اللهِ مَوْعِداً يُريدُ أنْ يُنْجِزَكمُوه، فيقولون: ما هوَ؟ ألَمْ يُبَيِّضْ وجوهَنا؟ ألمْ يُثَقِّلْ موازينَنا؟ ألمْ يُدْخِلْنا الجنَّةَ ويُجِرْنا مِنَ النَّارِ؟ فيَكْشِفُ الحجاب[١]، فينظرونَ إليه، فواللهِ ما أعطاهمُ اللهُ شيئاً هوَ أحبَّ إليهمْ، ولا أقرَّ لأعينِهمْ مِنَ النَّظَرِ إليه، وهيَ الزِّيادةُ». ثمَّ تلا: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦][٢].

كلُّ أهلِ الجنَّةِ يشترِكونَ في الرُّؤيةِ، ولكن يتفاوتونَ في القُرْبِ في حالِ الرؤيةِ، وفي أوقاتِ الرؤيةِ.

عُمومُ أهلِ الجنَّةِ يرونه يومَ المَزيدِ، وهوَ يومُ الجمعةِ[٣]، وخواصُّهمْ ينظرون في وجه الله تعالى كلَّ يومٍ مَرَّتين بُكْرَةً وعشيًّا[٤]، عموم أهل الجنة لهم رزقهم فيها بكرة وعشياً، وخواصهم يرون الله بكرة وعشياً، العارفون لا يُسلِّيهمْ[٥] عنْ محبوبِهمْ قَصْرٌ، ولا يَرويهمْ دونَه نهرٌ.

كانَ بعضُهمْ يقولُ: إذا جُعْتُ فذِكْرُه زادي، وإذا عطِشْتُ فمُشاهدتُه سُؤْلي ومُرادي[٦].

رُؤِيَ بعضُ الصَّالحينَ في المنامِ بعدَ موتِه، فسُئِلَ عنْ حالِ رجلينِ مِنَ العُلماءِ،

---

(١) سقطت الكلمة من (س) و(ع)، وفي حاشية (س): «لعله الحجاب عن وجهه».

(٢) أخرجه مسلم في الإيمان (١٨١)، والإمام أحمد (١٨٩٣٧) (١٨٩٤١) وهو أقرب الألفاظ لما هنا من حديث صهيب رضي الله عنه. وفي (ص): جاء: «تبيض» «تثقل» «تدخلنا» «تجرنا» بتاء الخطاب.

(٣) انظر في ذلك حديث أنس رضي الله عنه في «الرؤية» للدارقطني (٥٩ ـ ٦٦).

(٤) انظر في ذلك حديث ابن عمر رضي الله عنهما الذي سيذكره المصنف، وفي (س) و(ع): «وخواصهم يرون وجهه في كل يوم».

(٥) في (ج): «يلهيهم».

(٦) ذكره ابن الجوزي في «بحر الدموع» (ص: ٥١)، وفي «مثير العزم الساكن» (٢/ ١٩٠).

فقالَ: تَرَكْتُهما الآنَ بينَ يدي اللهِ عزَّ وجلَّ يأكُلانِ ويشرَبانِ ويتنعَّمانِ، قيلَ له: فأنتَ؟ قال: علِمَ قِلَّةَ رَغْبَتي في الطَّعامِ والشَّرابِ فأباحَني النَّظَرَ إليه[1].

أنتَ رِيِّي إذا ظمِئْتُ إلـى الما ءِ وقُوتـي إذا أردتُ الطَّعاما[2]

وفي «المسندِ» عنِ ابنِ عمرَ مرفوعاً: «إنَّ أدنى أهلِ الجنَّةِ منزلةً لَمَنْ ينظُرُ في مُلْكِه ألفَيْ سنةٍ يُرى أقصاهُ كما يُرى أدناهُ، ينظُرُ إلى أزواجِه مِنَ الحُورِ العِينِ وخدَمِه، وإنَّ أفضلَهمْ منزِلةً لَمَنْ ينظُرُ إلى وجهِ اللهِ تعالى كلَّ يومٍ مرَّتينِ»[3].

وخرَّجَه التِّرْمِذِيُّ، ولفظُه: «إنَّ أدنى أهلِ الجنَّةِ منزِلةً لَمَنْ ينظُرُ إلى جنانه وأزواجِه ونعيمِه وخدَمِه وسرره مسيرةَ ألفِ سنةٍ، وأكرَمَهمْ على اللهِ تعالى مَنْ ينظُرُ إلى وجهِه غَدْوةً وعَشِيًّا». ثمَّ قرأَ رسولُ اللهِ ﷺ ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢ ـ ٢٣][4].

---

(١) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (٣/ ٥٦٤)، والخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (١٢/ ٢٨٣)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٠/ ٢٢٣) عن عاصم الحربي قال: رأيت في المنام كأني قد دخلت درب هشام، فلقيني بشر بن الحارث، فقلت: من أين يا أبا نصر؟ فقال: من عليين، قلت: ما فعل أحمد بن حنبل؟ قال: تركت الساعة أحمد بن حنبل وعبد الوهاب الوراق بين يدي الله تعالى يأكلان ويشربان ويتنعمان، قلت: فأنت؟ قال: علم الله قلة رغبتي في الطعام فأباحني النظر إليه.

(٢) جاء البيت في قصة جرت لشقيق البلخي مع السيد الجليل الإمام موسى الكاظم بن جعفر الصادق رضي الله عنهما أسندها ابن الجوزي في «مثير العزم الساكن» (٢/ ١٦٦)، و«صفة الصفوة» (١/ ٤٠٠). وفي (ج): «أنت ربي»، وكذلك وقع في عدة مصادر.

(٣) أخرجه الإمام أحمد (٤٦٢٣).

(٤) أخرجه الترمذي (٢٥٥٣) (٣٣٣٠) وفي رفعه اختلاف. ووقع في (س) و(ع) و(ج) تصحيفات أثبتنا صوابها.

ولهذا المعنى قالَ ﷺ في الحديثِ الصَّحيحِ حديثِ جريرِ بنِ عبدِ اللهِ البَجَلِيِّ: «إنَّكمْ لَترونَ ربَّكمْ يومَ القيامةِ كما ترونَ هذا القمرَ ليلةَ البَدْرِ لا تُضامُّونَ في رُؤيتِه». قالَ: «فإنِ استطعتُمْ أنْ لا تُغْلَبوا عنْ صلاةٍ قبْلَ طلوعِ الشَّمسِ وقبْلَ غروبِها فافعلوا». ثمَّ قرأَ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾[1].

لَمَّا كانَ هذانِ الوقتانِ في الجنَّةِ وقتاً للرُّؤيةِ في حقِّ خواصِّ أهلِ الجنَّةِ، حضَّ ﷺ على المحافظةِ على الصَّلاةِ في هذَينِ الوقتَينِ في الدُّنيا، فمَنْ حافَظَ على هاتَينِ الصَّلاتَينِ في الدُّنيا في هذين الوقتين، وصلَّاهما على أكمَلِ وجوهِهما وخُشوعِهما وحُضورِهما وأدائهما، فإنَّه يُرجى له أنْ يكونَ مِمَّنْ يرى اللهَ في هذَينِ الوقتَينِ في الجنة، لا سِيَّما إنْ حافظَ بعدَهما على الذِّكْرِ وأنواعِ العباداتِ حتَّى تطلُعَ الشَّمسُ أوْ تغرُبَ، فإنْ وصَلَ العبدُ ذلكَ بدُلْجَةٍ آخِرَ اللَّيلِ فقدِ اجتمَعَ له السَّيْرُ في الأوقاتِ الثَّلاثةِ، وهيَ الدُّلْجَةُ والغَدْوَةُ والرَّوْحَةُ، فيُوشِكُ أنْ يُعْقِبَه الصِّدْقُ في هذا السَّيْرِ الوُصولَ الأعظمَ إلى ما يطلُبُه في مَقْعَدِ صِدْقٍ عند مليكٍ مُقتدِرٍ.

مَنْ لزِمَ الصِّدْقَ في طلَبِه أدَّاه الصِّدْقُ إلى مَقْعَدِ الصِّدْقِ، ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [يونس: ٢].

المحبُّ لا يقطَعُ السُّؤالَ عمَّنْ يُحِبُّ، ويتجسَّسُ الأخبارَ، ويتنسَّم[2] الرِّياحَ، ويستدِلُّ بالآثارِ لسُلوكِ الطَّريقِ إلى محبوبِه.

أُسائِلُكُمْ عنها فهلْ مِنْ مُخَبِّرٍ ... فما لي بنُعْمٍ[3] بعدَ مَكَّتِنا عِلْمُ

---

(١) أخرجه البخاري (٥٥٤) (٥٧٣) (٤٨٥١) (٧٤٣٤) (٧٤٣٦)، ومسلم (٦٣٣).

(٢) في (س) و(ع): «يشتم» «يشم».

(٣) في (س): «بنعمى».

فلـوْ كنـتُ أدري أيـنَ خيَّـمَ أهلُهـا وأيَّ بـلادِ اللهِ إذ ظَـعَـنـوا أمُّـوا

إذاً لسَلَكْنا مَسْلَكَ الـرِّيـحِ خـلْـفَـهـا ولوْ أصبَحَتْ نُعْمٌ[1] ومِنْ دونِها النَّجْمُ[2]

لقدْ كبُرَتْ هِمَّةٌ اللهُ مطلوبُها[3]، وشرُفَتْ نفسٌ[4] اللهُ محبوبُها.

﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الأنعام: ٥٢].

مـا للمُحِـبِّ سِـوى إرادةِ حُبِّـه إنَّ المُحِـبَّ بـكلِّ بـرٍّ يضـرَعُ[5]

قيمةُ كلِّ امرئٍ ما يطلُبُ، فمَنْ كانَ يطلُبُ اللهَ فلا قيمةَ له[6] مِنْ طلَبِ اللهِ، فهوَ أجلُّ مِنْ أنْ يقوَّمَ، ومَنْ طَلَبَ غيرَه فهوَ أخسُّ مِنْ أنْ يكونَ له قيمةٌ.

قالَ الشِّبْلِيُّ: مَنْ ركَنَ إلى الدُّنيا أحرَقَتْهُ بنارِها، فصارَ رَماداً تذْروهُ الرِّياحُ، ومَنْ ركَنَ إلى الآخرةِ أحرَقَتْه بنورِها، فصارَ سَبِيكةَ ذهَبٍ يُنتَفَعُ به، ومَنْ ركَنَ إلى اللهِ أحرَقَه نورُ التَّوحيدِ، فصارَ جَوْهراً لا قِيمةَ له[7].

---

(١) في (س): «نعمى».

(٢) الأبيات لأبي سعيد الخراز رحمه الله تعالى، كما أخرجه السلمي في «طبقات الصوفية» (ص: ١٨٦)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ٢٤٨)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥/ ١٤٢). وعنده: «نعمى».

(٣) في (ع): «مع الله مطلبها».

(٤) في (ع): «نفوس مع»، وفي (س): «نفوس».

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الرقة والبكاء» (١٢١) من شعر رجل من الأزد.

(٦) يعني لا قيمة له من عظمته فهو أعلى من أن يقوَّم.

(٧) ذكره المصنف أيضاً في «جامع العلوم والحكم» (٢/ ٤١٨)، وذكره الغزالي في «إحياء علوم الدين» (٤/ ٢٦٩) في كتاب ذم الدنيا من كلام أبي الحسين بندار بن الحسين الشيرازي صاحب الشبلي، وعزاه الزبيدي في «إتحاف السادة المتقين» (٩/ ٥٧٥) إلى أبي نعيم في «الحلية»، ولم أجده فيه.

له هِمَمٌ لا مُنتَهى لكِبارِها ... وهِمَّتُه[1] الصُّغرى أجلُّ مِن الدَّهر[2]

سُئِلَ الشِّبْلِيُّ: هلْ يقنَعُ المُحِبُّ بشيءٍ مِنْ حَبيبِه قبْلَ مُشاهدتِه؟ فأنشَدَ:

واللهِ لوْ أنَّكَ توَّجْتَني ... بتاجِ كِسْرى مَلِكِ المَشْرِقِ

ولوْ بأموالِ الورى جُدْتَ لي ... أموالِ مَنْ بادَ ومَنْ قدْ بقِي

وقلتَ لي: لا نلتقي ساعةً ... اخترْتُ يا مولايَ أنْ نلتقِي[3]

مَنْ كبُرَتْ هِمَّتُه لمْ يرْضَ بطلب شيءٍ سِوى اللهِ سبحانَه وتعالى.

كلُّ غَدْوي ورَواحي ... في مسائي وصباحي

وكذا ذِكْرُكَ رُوحي ... ثمَّ[4] رَيْحاني وراحي

وحبك في قلبي ... نعيمي وأفراحي

أنتَ سُؤْلي ونَصيبي ... ومُرادي لنَجاحي

يا غِياثي ومَلاذي ... لِرَشادي وصَلاحي[5]

---

(١) في (س) و(ع): «لهم همم.... وهمتهم الصغرى».

(٢) البيت لبكر بن النطاح قاله للأمير أبي دُلَف، كما في «الكامل» للمبرد (٢/ ٦٠٠)، وقيل: لعلي بن جبلة، كما في «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤٩/ ١٣٢)، والظاهر أن البيت أقدم منهما ذكره دُغفل بحضرة معاوية رضي الله عنه كما في «تاريخ دمشق» (١٧/ ٣٠٢). والله أعلم.

(٣) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦٦/ ٦٥). وهو قسم مفقود استدرك من المختصر. وذكره المصنف في «لطائف المعارف» (ص: ١٠٣) من طبعة دار ابن حزم.

(٤) في (س) و(ع): «في ثم».

(٥) لم أجد الأبيات عند غير المصنف رحمه الله والمثبت من (ج) وفي (ص): «إليك غُدُوي ورواحي»، «وأنت قصدي وسؤلي».

وهنا تنتهي النسخة (ص)، وكتب في آخرها: «آخره والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً».

فصلٌ

في قولِه تعالى: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر: ٤٧]

هذه الآيةُ كانَتْ تشتَدُّ على الخائفِينَ مِنَ العارفينَ، فإنَّها تقتَضي أنَّ مِنَ العِبادِ مَنْ يَبْدو له عندَ لقاءِ اللهِ ما لَمْ يكنْ يحتسِبُ؛ مِثْلَ أنْ يكونَ غافِلاً عمَّا بينَ يديه، مُعْرِضاً عنه، غيرَ مُلْتَزِمِه[1]، ولا يحتسِبُ له، فإذا كُشِفَ الغِطاءُ عاينَ تلكَ الأهوالَ الفَظيعةَ، فبدا له ما لَمْ يكنْ في حِسابه.

ولهذا قالَ عمرُ رضي الله عنه: لوْ أنَّ لي مِلْءَ الأرضِ ذهَباً لافتديْتُ به مِنْ هَوْلِ المَطْلَعِ[2].

وفي الحديثِ: «لا تمَنَّوا الموتَ، فإنَّ هَوْلَ المَطْلَعِ شديدٌ، وإنَّ مِنْ سعادةِ العبدِ[3] أنْ يطولَ عمرُه، ويرزُقَه اللهُ الإنابةَ»[4].

قالَ بعضُ حُكَماءِ السَّلَفِ: كمْ مِنْ مَوْقِفِ خِزْيٍ يومَ القيامةِ لَمْ يخطُرْ على بالكَ قطُّ[5].

ونظيرُ هذا قولُه تعالى: ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق: ٢٢].

---

(١) رسمت في (ع): «عامل به». وفي (ج): «منكوبة» وكتب في الحاشية: «لعلها: مكترث».

(٢) هو في قصة استشهاده رضي الله عنه: أخرجه مطولًا ابن حبان في «صحيحه» (٦٩٠٥)، والحاكم في «المستدرك» (٣/ ٩١). وهو في «المسند» (٣٢٢) بلفظ آخر.

(٣) في (س) و(ع): «المرء» وهو موافق لما في «مصنف ابن أبي شيبة» (٣٥٥٦٢).

(٤) أخرجه الإمام أحمد (١٤٥٦٤)، وفي «الزهد» (١١٧) واللفظ له، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠١٠٥) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

(٥) لم أجده عند غير المصنف رحمه الله.

ويشتمِلُ على ما هوَ أعَمُّ مِنْ ذلكَ، وهوَ أنْ يكونَ له أعمالٌ يرجو بها الخَيْرَ، فتَصيرُ هَباءً مَنْثوراً، وتُبَدَّلُ سيِّئاتٍ.

وقدْ قالَ تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ﴾ الآيةَ [النور: ٣٩].

وقالَ تعالى: ﴿وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣].

قالَ الفُضَيلُ في هذه الآيةِ: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمۡ يَكُونُواْ يَحۡتَسِبُونَ﴾ [الزمر: ٤٧]، قالَ: عمِلوا أعمالاً فحسِبوا أنَّها حسناتٌ، فإذا هيَ سيِّئاتٌ[1].

وقريبٌ مِنْ هذا أنْ يعمَلَ الإنسانُ ذَنْباً يحتقِرُه ويستهْوِنُ به فيكون هو سبب هلاكه، كما قال تعالى: ﴿وَتَحۡسَبُونَهُۥ هَيِّنٗا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٞ﴾ [النور: ١٥].

وقالَ بعضُ الصَّحابةِ: إنَّكمْ لتعمَلونَ أعمالاً هيَ أدقُّ في أعينِكمْ مِنَ الشَّعَرِ، كُنَّا نعُدُّها على عهدِ رسولِ اللهِ ﷺ مِنَ الموبقاتِ[2].

وأصعَبُ مِنْ هذا مَنْ زُيِّنَ له سُوءُ عمَلِه فرآهُ حسَناً، قالَ تعالى: ﴿قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ١٠٣ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا﴾ [الكهف: ١٠٣ ـ ١٠٤].

قالَ ابنُ عُيَيْنَةَ: لمَّا حضرَتْ محمَّدَ بنَ المُنْكَدِرِ الوفاةُ جزِعَ، فدعَوا له أبا حازمٍ، فجاءَه[3] فقالَ له ابنُ المُنْكَدِرِ: إنَّ اللهَ يقولُ: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمۡ يَكُونُواْ يَحۡتَسِبُونَ﴾

---

(١) أخرجه ابن معين في «معرفة الرجال» (٢/ ٦٩)، ومن طريقه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (١٥/ ٣٥٣). وبكى ابن معين عند ذكره.

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٩٢) من كلام أنس رضي الله عنه.

(٣) في (س) و(ج): «فجاء».

[الزمر: ٤٧]، فأخافُ أنْ يبدوَ لي مِنَ اللهِ ما لمْ أكنْ أحتسِبُ، فجعَلا يبكيانِ جَميعاً. خرَّجَه ابنُ أبي الدُّنيا وابنُ أبي حاتمٍ.

وزادَ ابنُ أبي الدُّنيا: فقالَ له أهلُه[١]: دعوْناكَ لتُخَفِّفَ عليه فزِدتَّه[٢].

وقالَ الفُضَيلُ بنُ عِياضٍ: أُخْبِرْتُ عنْ سليمانَ التَّيْمِيِّ أنَّه قيلَ له: أنتَ أنتَ ومَنْ مِثْلُكَ؟! فقالَ: مَهْ، لا تقولوا هذا، لا أدري ما يبدو لي مِنَ اللهِ، سمعتُ اللهَ يقولُ: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر: ٤٧][٣].

وكانَ سفيانُ الثَّورِيُّ عندَ هذه الآيةِ يقولُ: ويلٌ لأهلِ الرِّياءِ مِنْ هذه الآيةِ[٤].

وهذا كما في حديثِ الثَّلاثةِ الَّذينَ همْ أوَّلُ مَنْ تُسَعَّرُ بهمُ النَّارُ: العالِمُ، والمُتصدِّقُ، والمُجاهِدُ[٥].

وكذلكَ مَنْ عمِلَ أعمالاً صالحةً وكانتْ عليه مظالمُ، فهوَ يظُنُّ أنَّ أعمالَه تُنْجيه، فيبدو له مِنَ اللهِ ما لمْ يكنْ يحتسِبُ، فيقتسِمُ الغُرماءُ أعمالَه كلَّها، ثمَّ يفضُلُ لهمْ فَضْلٌ، فيُطْرَحُ مِنْ سيِّئاتِهمْ عليه، ثمَّ يُطْرَحُ في النَّارِ.

وقدْ يُناقَشُ الحسابَ، فيُطْلَبُ منه شُكْرُ النِّعَمِ، فأصْغَرُها تستوعِبُ أعمالَه كلَّها، وتبقى بقيَّةُ النِّعَمِ، فيُطالَبُ بشُكْرِها فيعذَّبُ.

---

(١) في (س) و(ع): «فقالوا له».

(٢) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ١٤٦). من وجهين. ولم أجده عند ابن أبي حاتم. وعند ابن أبي الدنيا في «المحتضرين» (ص: ١٧٠) قصة مشابهة عن عمر وأبي بكر ابني المنكدر.
وفي (ج) بعده: «فأخبرهم بما قال الفضيل... ».

(٣) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ٣٠).

(٤) ذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٤/ ٥٣٥)، والزمخشري في «الكشاف» (٤/ ١٣٣). وأورده كثير من المفسرين.

(٥) أخرجه مطولًا: مسلم (١٩٠٥)، والترمذي (٢٣٨٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ولِهذا قالَ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: «مَنْ نوقِشَ الحسابَ عُذِّبَ»، أو «هلَكَ»[١].

وقدْ يكونُ له سيِّئاتٌ تُحبِطُ بعضَ أعمالِه وأعمالِ جوارحِه سوى التَّوحيدِ، فيدخُلُ النَّارَ.

وفي «سننِ ابنِ ماجهْ» مِنْ روايةِ ثَوْبانَ مرفوعاً: «إنَّ مِنْ أمَّتي مَنْ يجيءُ بأعمالٍ أمثالِ الجبالِ، فيجعلُها اللهُ هباءً منثوراً».

وفيهِ: «هُمْ قومٌ مِنْ جِلْدَتِكمْ، ويتكلَّمونَ بألسِنتِكمْ، ويأخذونَ مِنَ اللَّيلِ كما تأخذونَ، ولكنَّهمْ قوم إذا خلَوا بمحارمِ اللهِ انتهَكوها»[٢].

وخرَّجَ يعقوبُ بنُ شيبةَ وابنُ أبي الدُّنيا مِنْ حديثِ سالمٍ مولى أبي حذيفةَ مرفوعاً: «لَيَجيئنَّ يومَ القيامةِ أقوامٌ معهمْ مِنَ الحسناتِ مِثْلُ جبالِ تِهامةَ، حتَّى إذا جيءَ بهمْ جعَلَ اللهُ أعمالَهمْ هباءً، ثمَّ أكَبَّهمْ في النَّارِ». قالَ سالِمٌ: خشيتُ أنْ أكونَ منهم. قالَ: «أما إنَّهمْ كانوا يصومونَ ويُصلُّونَ ويأخذونَ هُنَيْهَةً[٣] مِنَ اللَّيلِ، لعلَّهمْ كانوا إذا عَرَضَ لهمْ شيءٌ مِنَ الحرامِ أخذوه، فأدحَضَ اللهُ أعمالَهمْ»[٤].

وقدْ يُحبِطُ اللهُ العمَلَ بآفةٍ مِنْ رياءٍ خفيٍّ وعُجْبٍ به ونحوِ ذلكَ، ولا يشعُرُ بهِ صاحِبُه.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٣٦) (٦٥٣٧)، ومسلم (٢٨٧٦)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) أخرجه ابن ماجه في الزهد (٤٢٤٥)، وليس فيه قوله: «ويتكلمون بألسنتكم».

(٣) في (س) و(ع): «هنيئة». وهي تحريف من «هُنَيَّة» أي قليلًا من الزمان، وهو تصغير هَنَه، ويقال: هنيهة أيضاً، ولم ترد في مصادر التخريج سوى «معرفة الصحابة» بلفظ: «هنة».

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الأهوال» (٢٧١)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ١٧٧)، وفي «معرفة الصحابة» (٣٤٤١).

قالَ ضَيْغَمٌ العابِدُ: إنْ لمْ تأتِ الآخرةُ المؤمنَ بالسُّرورِ، لقدِ اجتمَعَ عليه همَّانِ: همُّ الدُّنيا، وشقاءُ الآخرةِ، فقيلَ له: كيفَ لا تأتيه الآخرةُ بالسُّرورِ وهوَ يتعَبُ في دارِ الدُّنيا ويدأبُ، قالَ: كيفَ بالقَبولِ؟! كيفَ بالسَّلامة؟! كمْ رجلٍ يرى أنَّه قدْ أصلَحَ هِمَّتَه، يُجْمَعُ ذلكَ كلُّه يومَ القيامةِ، ثمَّ يُضْرَبُ به وجهُه[١].

ومِنْ هنا كانَ عامرُ بنُ عبدِ قيسٍ وغيرُه يقْلقون مِنْ هذه الآيةِ: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧][٢].

وقالَ ابنُ عَوْنٍ: لا تثِقْ بكثرةِ العمَلِ، فإنَّكَ لا تدري أيُقْبَلُ منكَ أمْ لا؟! ولا تأمَنْ من ذنوبِكَ، فإنَّكَ لا تدري هلْ كُفِّرت عنكَ أمْ لا؟! إنَّ عمَلَكَ مُغيَّبٌ عنكَ كلِّه، لا تدري ما اللهُ صانعٌ به[٣].

وبكى النَّخَعِيُّ عندَ الموتِ وقالَ: أنتظِرُ رسولَ ربِّي، ما أدري أيُبَشِّرُني بالجنَّةِ أمْ بالنَّارِ[٤].

وجزِعَ غيرُه عندَ الموتِ، فقيلَ له: لِمَ تجزَعُ؟ قالَ: إنَّما هيَ ساعةٌ، ولا أدري أينَ يُسْلَكُ بي؟![٥]

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «محاسبة النفس» (٨١).

(٢) أخرج ابن أبي الدنيا في «المحتضرين» (١٨٠): أن عامر بن عبد الله وهو ابن عبد قيس رحمه الله بكى في مرضه الذي مات فيه بكاء شديداً، فقيل له: ما يبكيك يا أبا عبد الله؟ قال: آية في كتاب الله: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧].

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «التوبة» (٦٣)، ومن طريقه البيهقي في «شعب الإيمان» (٦٩٣٠)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣١/ ٣٦٤).

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في «المحتضرين» (١٤٨) (٢٠٢)، ومن وجه آخر: ابن زبر في «وصايا العلماء» (ص: ١٠٨)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (ص: ٢٢٤).

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في «المحتضرين» (٣٣٤) من كلام أبي عطية المذبوح رحمه الله تعالى.

وجزعَ بعضُ الصَّحابةِ عندَ موتِه، فسُئِلَ عنْ حالِه، فقالَ: إنَّ اللهَ قبَضَ خلْقَه قبْضتَينِ: قَبْضةً للجنَّةِ، وقَبْضَةً للنَّارِ، ولستُ أدري في أيِّ القَبْضتَينِ أنا[١].

ومَنْ تأمَّلَ هذا حقَّ التَّأمُّلِ أوجبَ له القلَقَ، فإنَّ ابنَ آدمَ مُتعرِّضٌ لأهوالٍ عظيمةٍ مِنَ الموتِ وأهوالِ القبرِ وأهوال البَرْزخِ وأهوالِ الموقفِ والصِّراطِ والميزانِ، وأعظَمُ مِنْ ذلكَ الوقوفُ بينَ يدي اللهِ عزَّ وجلَّ ودخولُ النَّارِ، ويخشى على نفْسِه الخلودَ فيها بأنْ يُسْلَبَ إيمانَه عندَ الموتِ، ولمْ يأمنِ المؤمنُ شيئاً مِنْ هذه الأمورِ، و﴿لَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩]، فتحقيقُ هذا يمنَعُ ابنَ آدمَ القَرارَ.

رأى بعضُهمْ قائلاً يقولُ له:

وكيفَ تنامُ العينُ وهيَ قريرةٌ ... ولمْ تدْرِ في أيِّ المحلَّينِ تنزِلُ[٢]

وسُئِلَ بعضُ الموتى ـ وكانَ عابداً مجتهِداً ـ عنْ حالِه، فأنشدَ يقولُ:

وليسَ يَعْلَمُ ما في القبرِ داخلَه ... إلَّا الإلهُ وساكنُ الأجْداثِ[٣]

وقالَ غيرُه[٤]:

أمَا واللهِ لوْ علِمَ الأنامُ ... لِمَا خُلِقوا لَمَا غفَلوا وناموا

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «المحتضرين» (٢٧٦) من كلام معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «المنامات» (١٤٥) عن رجل أتاه آت في منامه ثلاث ليال يقول له ذلك، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٩٥٨) من وجه آخر.

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «المنامات» (١٥٥) من كلام بزيع بن مسور العابد رحمه الله في رؤيا بعد وفاته.

(٤) في (ج): «وفي هذا يقول بعضهم».

لقـدْ خُلِقـوا لِمَـا لـوْ أبـصَـرَتْـهُ عـيونُ قلوبِهـمْ تاهـوا وهاموا
مَمـاتٌ ثـمَّ قبـرٌ ثـمَّ حشْـرٌ وتوبيـخٌ وأهـوالٌ عظـامُ
ليـومِ الحشـرِ قدْ عمِلَـتْ رجالٌ فصلَّـوا مِـنْ مخافَتِـه وصامـوا
ونحـنُ إذا أُمِرْنـا أوْ نُهِينـا[1] كأهـلِ الكهفِ أيقـاظٌ نِيامُ[2][3]

* * *

(١) في (ج): «نهينا أو أمرنا».

(٢) الأبيات ذكرها ابن الجوزي في «المدهش» (ص: ١٢٢).

(٣) جاء في خاتمة (ج): «تمت هذه النسخة بقلم الفقير الحقير المعترف إلى ربه بالعجز والتقصير راجي عفو ربه وتوفيقه بعدما عَلَّقها لنفسه ولمن شاء الله من بعده راجي عفو ربه المنان إبراهيم بن سليمان بن حجي بن محمد بن عبد لثلاث بقين من شهر ربيع أول سنة ١١٩٤ على مهاجرها أفضل الصلاة والتسليم رحم الله من نظر إليه ودعا لكاتبه ولوالديه بالأمن يوم الفزع آمين».

وفي حاشية هذه الخاتمة: «بلغ مقابلة حسب الطاقة والحمد لله رب العالمين».

وفي خاتمة (س): «آخره والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

ويتلوه إن شاء الله: «الكلام على كلمة الإخلاص» للمؤلف المذكور». وفي الحاشية: «بلغ».

وفي (ع): «آخره: والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين. تم بقلم العبد الفقير المقر بالذنب والتقصير، راجي عفو ربه المنان سليمان بن عبد الرحمن العمري، غفر الله ولوالديه ولمشايخه وإخوانه وذريته، ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين، آمين. وذلك في ٢٨ شوال سنة ١٣٣٣هـ».